وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

رقم: 063099743

ميدان: اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات لغوية

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب: هاشمي بن ساسي

تحت عنوان:

ظاهرة التضام في القرآن الكريم
دراسة لسانية حديثة وبلاغية
"سورة يوسف" أنموذجا

تاريخ المناقشة: 2017/05/08

لجنة المناقشة:

د. محمد بن صالح	جامعة المسيلة	رئيسا
أ.د عيسى بوفسيو	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
دعبد الرشيد نور	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى والـدي الذي كان يجد رحيق متعته في المعاناة من أجلي وقبيل قطاف

الجنى، لبّى نداء ربه راضيا مرضيا.

إلى والدتـي نبع الحنان، ورمز العطاء

إلى زوجتـي وإبنتـي (شهـرزاد)

إلى إخوتي زهراء، ريمة، آمنه، فادية

شكر وتقدير

لقد بذلت في إعداد هذه الرسالة ما استطعت من جهد ووقت، وغايتي أن تكون وافية خالصة لوجه الله الكريم، راجيا منه الأجر.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، كيف وإن كانوا أهل فضل وعلم ومن الواجب أن اعترف بجده ذوي الفضل والنعمة.

فأول من أخصهم بالشكر والتقدير أستاذي المشرف أ.د بوفسيو عيسى فقد تتبع هذا العمل منذ بدايته وأبدى ملحوظاته القيمة التي قومت فصوله فجازاه الله عني خير جزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وعلى ملاحظتهم القيمة التي يتفضلون بإبدائها فهم أصحاب فضل وريادة.

إني مدين بالشكر لكل من نهلت من فيض علمه ولكل من ساعدني مقلا أو مكثرا.

وأخيرا فإني قد بذلت ما أستطيع فإن أصبت فلله الشكر وإن كانت الأخرى فما أبرئ نفسي وأسأل الله الأجر والغفران.

مقدمة

فإن المتأمل في هذه اللغة العربية الشريفة، يجدها تختص بنظام تركيبي دقيق، حاول لغويا منذ القديم الكشف عنه، وتحديد قوانينه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ولئن ظهرت هذه المحاولات في شكل ملاحظات عابرة، بوضع جملة من القواعد، تضبط أواخر الكلمات وتسلم المتكلم من الخطأ، فإنه سرعان ما تطورت لتشمل مجالات نحوية بلاغية، إنفردت بدراسات قائمة بذاتها يقل نضيرها في لغات أخرى. والملاحظ في هذا النظام اللغوي يدرك أنه يكتسب خاصية الترابط والإنسجام، من ذلك التأليف العجيب بين الحروف والكلمات والجمل، حتى إذا اتسع المجال خرج هذا التأليف في نسيج لغوي محكم يتناوله موضوع اصطلح عليه بمفهوم التضام.

حيث نجد أن هذا الموضوع، يناقش قضايا لغوية وبلاغية درسها كثير من أعمدة اللغة العربية القدامى، خاصة سيبويه، وأبو بكر بن السراج، وأبو سليمان الخطابي وغيرهم، وكذلك نجد علماء الدين من خلال جهود المفسرين، وعلماء الدراسات القرآنية خاصة بما يتعلق بالإعجاز القرآني. ومن هنا نجد أن اتساع هذه اللغة وشموليتها، أهلها بحق لأن تكون لغة اصطفاها الله ترجمان لوحيه، ولغة رسالته إلى خلقه، وكفى بالقرآن الكريم بجميع علومه وميادينه؛ إذ لا يزال ملاذ العلماء وميدانهم الفسيح للبحث ولا تزال موضوعاته تشغل بال الدارسين.

أما الإشكالية التي نريد الإجابة عنها ويناقش عناصرها فهي:

– ما مدى أن يتجاوز بحث التضام في القرآن الدراسة النحوية، والقرائن اللفظية التي نشأ في أحضانها، إلى دراسة الأساليب البلاغية الجمالية؟

وتندرج تحتها عدة فرضيات هي:

هل خلا تراثنا كله مما تتعاطاه لسانيات النص، وبالتالي فإن الذي حدث اليوم يعد طفرة في هذا العصر؟

– هل يمكن التعايش بين نحونا العربي قديمه وحديثه، مع معطيات لسانيات النص الحديثة أم أن ذلك ضرب من الجنون؟

– كيف يمكن للسانيات النص أن تستفيد من الدراسات القرآنية المتعلقة بإتساق النص؟.

– هل يمكن أن يكون القرآن المقدس عقديا لغويا نتعامل فيه بمنظور النص؟

أما أسباب اختيار لهذا الموضوع، فتتعدد وتتنوع بين ذاتي وموضوعي، فالذاتي يتمثل في ذلك الميل الموجود في داخل صاحب هذا العمل، منذ مدة بعيدة وتلك الرغبة الملحة في أن تكون له بصمة في هذا الرصيد المعرفي العربي، وهذه الرغبة تعززت فعلا حين تبنى معهد اللغة العربية وآدابها في جل الجامعات الجزائرية.

أما موضوعي، فإن للظروف العلمية المعاشة دورا في التوجيه إلى هذا العمل، فاتجاه الدراسات اللغوية الحديثة إلى لسانيات النص، وإلى التداولية كان يفرض على الباحثين العرب أن يتجهوا إليها لتقريبها من الدرس العربي، فأردت بذلك أن يكون هذا العمل المتواضع من هؤلاء اللذين يتحملون العبء لينتفع الآخرون به.

والهدف من هذا العمل تبين أمور منها: أن نحونا العربي إذا ما فعلناه بصورة بعيدة عن التعاطف، وأخذناه على بصيرة من أمرنا، كما أن الأهداف التي توخاها هذا العمل، لفت النظر إلى ذلك الزخم العربي الهائل من الجهود اللغوية وتفعيله وفقا لمعطيات اللسانيات الحديثة، حتى يسعى المختصون جميعا كل من زاوية الاختصاص التي هو فيها إلى تشكيل صورة واضحة المعالم للمدرسة العربية الحديثة المنطلق فيها هو التراث العربي الهائل من الدراسات القديمة، والجهود الطيبة الحديثة التي انتجتها الأقلام العربي على مر العصور.

إن طبيعة الموضوع فرضت علينا منهجا، هو المنهج الوصفي التحليلي، باعتبار أن الدراسة تخضع تارة في بعضها إلى مسائل نحوية وبلاغية دون إحكام أو تعليل، وتارة أخرى تعتمد على عرض النصوص بغرض التطبيق والتحليل، بحيث نجد أن الوصف يفرض علينا عملية المسح التي يقوم بها الباحث من أجل نقل ما قاله الأولون في كل نقطة من النقاط المدرجة في هذا العمل. وأما المنهج الإحصائي، فيفرضه العمل التطبيقي في سورة يوسف، إذ أنه لابد أن يقدم هذا العمل شيئا من الأرقام الإحصائية التبينية.

أما أهم الصعوبات التي تعرضت طريق البحث، فلعلها تكمن في صعوبة التعامل مع مختلف أقوال العلماء لاسيما ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، وأوجه البيانية.

وقد قسمت هذا العمل، بتوجيهات أستاذي الدكتور أ.د بوفسيو عيسى، والاستفادة من نصائحه لي.

الفصل الأول فقد تناولنا فيه: التضام أصوله، وامتداداته، وقد قسمته إلى أربعة مباحث، حيث تطرقت في المبحث الأول إلى مفهوم التضام ومجالاته ويحوي ستة مطالب هي:
المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي، المطلب الثاني: أقسام التضام، المطلب الثالث: أنواع التضام النحوي، المطلب الرابع: التضام والتوارد والمصاحبة اللغوية، المطلب الخامس: مظاهره ومتعلقاته، والمطلب السادس: عوارض التضام.

أما المبحث الثاني: التضام في الموروث النحوي يحوي مطلبين هما: المطلب الأول: أقسام الكلم، المطلب الثاني: التضام في الأبواب النحوية.

والمبحث الثالث بعنوان التضام في المورث البلاغي وقسم إلى خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: مدخل عام إلى علم المعاني، المطلب الثاني: منزلة التضام بين وجوه الإعجاز، المطلب الثالث: التضام في ضوء نظرية النظم، المطلب الرابع: أثر السياق في التضام، والأخير المطلب الخامس: التضام والمصطلح البلاغي.

أما المبحث الرابع والأخير فهو عن التضام في الدرس اللساني الحديث وفيه مطلبين: المطلب الأول: التضام والمنهج الوصفي والمطلب الثاني: التضام ولسانيات النص.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على سورة يوسف، فقد قسمناه بدوره إلى مبحثين، المبحث الأول: ترجمة السورة ويحتوي على خمسة مطالب: المطلب الأول: التعريف بالسورة، المطلب الثاني: سبب تسميتها، المطلب الثالث: مقاصد سورة يوسف، المطلب الرابع: سبب نزولها، والمطلب الأخير الخامس: الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف في القرآن.

أما المبحث الثاني: آليات التضام في سورة يوسف، ويحتوي على ثلاثة مطالب وهي: المطلب الأول: ماهية الحذف، المطلب الثاني: ماهية الالتفات، والمطلب الثالث: ماهية التكرار.

أما الخاتمة فقد سجلت فيها ما أمكن أن أخلص إليه من نتائج.

الفصل الأول: التضام أصوله وامتداداته

إن المقصود بالتضام، أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين، عنصر أخر فيسمى التضام، في هذه الحالة "التلازم" أو يتنافى معه فلا يلتقي به فيسمى "التنافي".

المبحث الأول: مفهومه ومجالاته

المطلب الأول: التعريف اللغوي والإصطلاحي

الفرع الأول: التضام لغة

التضام مصدر من الفعل "ضَمَمَ"، جاء في كتاب العين:" الضم ضَمُّك الشيء إلى الشيء وضاممت فلانا أي قمت معه في أمر واحد"[1]، لذلك نجد من معاني الضم الإشتمال، نقول: تضامّ القوم إذا انضم بعضهم إلى بعض، واضطمت عليه الضلوع أي اشتملت[2]. والضم أيضا اجتماع الشيء إلى الشيء، فضامّ الشيء الشيء انضم معه ومنه الضمام، حيث قال الشاعر فيه[3]: فألفى القوم قد شربوا فضمّوا أمام القوم منطقهم نسيف وبالتالي نجد أن "مادة ضَمَم" تدل في مجملها على عدة معاني، وعبارات نفسها تتكرر فيما بعد في المعاجم والقواميس الحديثة تدل مجملها على الاجتماع، والاشتمال، وغيرها من العبارات، فإننا سننقلها إلى جانب الاصطلاحي لنرى مدى التقارب أو التباعد بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ): كتاب العين، تحقيق: مدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دط–د ت ج 07، ص 16، 17.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ): التاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، د 04، مج1990،06م، ص 1972–1973.

[3] أبو ذؤبي الهذلي: الديوان، تحقيق وشرح: سهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق عمان، 1419هـ/1998، ص 170.

الفرع الثاني: التّضام اصطلاحا

يجعل تمّام حسان[1]، فهم التضام ممكنا من وجهين، ويلخصهما على النحو:

الوجه الأول: إن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف كل طريقة عن الأخرى، تقديما وتأخيرا، وقد أطلق عليه في الاصطلاح "التوارد" فقال: "يمكن أن نطلق على هذا النوع من التضام اصطلاح التوارد"[2] فنجد أن هذا الوجه يهتم بدراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية. أما الوجه الآخر: فيقصد بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحو بين عنصر آخر فيسمى في هذه الحالة "التلازم" أو يتنافى معه فلا يلتقي فيسمى "التنافي" وبالتالي فالتضام في نظره ليس اتصال اللواصق بالكلمة، بل هو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى.

ومن هنا ترى أن التضام هو إيراد كلمتين أو أكثر، لخلق أعم من أي معنى آخر.

ومن هنا المفهوم "تبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصور أسلوب تآلف الكلمات في اللغة تم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي"[3]، والتضام أيضا هو الترابط الأفقي الطبيعي بين الكلمات، أو رفقة الكلمات وجيرتها لكلمات أخرى في السياق نحو: "أهلا وسهلا"، وقد تطور هذا المفهوم[4] فأصبح يعني دخول الكلمة في السياق المقبول.

---

[1] تمام حسان عمر (أبو هاني): أحد الأساتذة المتميزين في الأدب العربي في دار العلوم بالقاهرة رحل إلى لندن ليناقش رسالة الماجستير في موضوع "لهجة الكرنك" ثم رسالة الدكتوراه في موضوع "لهجة عَدَن" يدرس مادة النحو منذ سنة 1959م، من تصانيفه: مناهج البحث في اللغة، نشر سنة 1955م، كتاب اللغة بين المعيارية والوصفية" نشر سنة 1958م ثم كتاب اللغة العربية "معناها ومبناها" في حدود 1973م. أخذ عن: مبارك عبد القادر آراء تمام حسان في نقد النحو العربي –مخطوط رسالة الماجستير– إشراف عباس محمد جامعة تلمسان، قسم اللغة العربية وآدابها، 2002م/2003، ص 10.

[2] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1425هـ/2004م، ص 216.

[3] المرجع نفسه، ص 196.

[4] نادية رمضان النجار: أبحاث نحوية ولغوية، القسم الأول، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006، ص 15.

من خلال هذه الآراء والتعريفات، فإن التضام على هذا التقدير سيتعلق موضوعه بالتلازم بين العناصر اللغوية لتكوين الجمل والتراكيب.

الفرع الثالث: التضام قرينة لفظية

إن المقصود بالقرينة عموما: "الأمر الدال على شيء من غير استعمال فيه وقيل هي أمر يشير إلى المطلوب، فيما نعرف الحقيقة من المجار ونعرف المقصود بالألفاظ المشتركة، ونعرف الذكر والحذف وخروج الكلام عن ظاهره، وما إلى ذلك مما يحتمل من دلالة"[1]، والقرينة هي الدلالة اللفظية أو المعنوية التي تمحص المدلول وتصرفه إلى المراد منه مع منع غيره من الدخول فيه وقد تكون لفظية أو معنوية أو حالية"[2]، فهي عنصر مهم لفهم الجملة.

المطلب الثاني: أقسام التضام

يمكن أن يقسم التضام إلى نوعين: تضام معجمي وتضام نحوي:

الفرع الأول: التضام المعجمي

إن مفردات المعجم تنتظم في طوائف معينة، تقع كل واحدة مع ما يناسبها، إما عن طريق توارد بعضها مع بعض، وإما عن طريق تنافر بعضها مع بعضها الآخر، فكل طائفة منها طابعها الخاص: "الذي يطبع أسماءها وأفعالها بسمة خاصة تجمعها تحت ظل معنوي واحد": فالأفعال مثلا طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة خاصة من الأسماء وتتنافر مع طائفة الأسماء الأخرى إذ من غير المقبول أن يقال: "انكسر الخيط"[3]، لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر، وهذا النوع من الجمل التي تكون سليمة من جهة البنية النحوية وفاسدة من جهة المعنى، وبالتالي قد اصطلح عليه تمام حسان: "بالإحالة

[1] فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000، ص 60.

[2] محمد سمير الليدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 186. أخذا: عن عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية في النحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآداب واللغة العربية، 1995، ص 17.

[3] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993، ص 155 و156، إلى جانب عدد من الأمثلة التي استدل بها في هذا المجال.

المعجمية"[1]، ويقصد بها أن يكون بناء الجملة صحيحا بخلاف معناها الفاسد. ومن هنا وجب علينا أن نذكر بعض الأمثلة النحوية، والشروط التي تضبط هذا النوع من التضام:

1- جاء في شرح المفصل: "إن المصدر هو المفعول الحقيقي، لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود، وصيغة الفعل تدل عليه، والأفعال كلها متعدية إليه سواء كان يتعدى الفاعل أو لم يتعده نحو: "ضربت زيدا ضربا، وقام زيد قياما"وإنما سمى مصدرا لأن الفعل صدر عنه، وأخذ منه"[2]، معنى هذا أن المفعول المطلق يشترط فيه أن يشارك فعله في مادة إشتقاقه، وأن يتعدى إلى مفعوله.

2- التأكيد يكون على ضربين: لفظي ومعنوي، اللفظي يكون بتكرار اللفظ أو الجمل أما المعنوي فيكون بتكرار المعنى دون لفظه[3] فتوكيد اللفظي لا يكون إلا مع تكرار اللفظ.

3- إضافة الشيء إلى نفسه مما لا يصح، وذلك من قبل أن الغرض من الإضافة التعريف والتخصيص.

4- إذا أفاد الفعل مشاركة، أو تسوية، أو مخالفة وجه أن يكون فاعله مثنى أو جمعا أو معطوفا عليه نحو: "تضارب الرجلان".[4]

الفرع الثاني: التضام النحوي

ويقصد به علاقة تنشأ بين عنصرين تحليليين داخل منظمة نحوية إما عن طريق الاستلزام، فيسمى التضام في هذه الحالة "التلازم"، وإلا فيتنافى فلا يلتقي فيسمى به عندئذ هذا التضام "التنافي" فإذا استلزم أحد العنصرين النحو بين الآخر فإن هذا الأخير يستدل عليه إحدى طريقتين.[5]

---

[1] تمام حسان: اللغة والنقد الأدبي(مجلة فصول –مجلة النقد العربي مجلد 4، العدد 01 سنة 1983)، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ص 126.

[2] موفق الدين ابن يعيش النحوي (ت 643هـ): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د ط، دث، ج 01، ص 109، 110.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج 03، ص 40، 41.

[4] المصدر نفسه، ج 03، ص 08، 09.

[5] نادية رمضان النجار: أبحاث لغوية ونحوية، ص 18.

– قد يدل عليه مبنى عدمي على سبيل التقدير الاستتار أو الحذف.[1]

– قد يدل عليه مبنى وجودي على سبيل الذكر.

وطريقة الذكر يكون فيها هذان العنصران المتلازمان مذكورين في المنضومة الكلامية إما ذكر افتقار، أما طريقة العدم ففيها يستدل بقرائن سبق الذكر أو الاستلزام على العنصر غير المذكور في النص.

المطلب الثالث: أنواع التضام النحوي

الفرع الأول: الاختصاص

هو ظاهرة من ظواهر استعمال العناصر التركيبية يأتي في صورة التضام الإيجابية ومعناه: "أن يدخل الحرف على مدخوله بعينه وإن كان له بسبب لفظه لا بسبب معناه" وما دام هذا العنصر من صفات الحروف والأداة فإن الأداة مثلا: "إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه فتسمى مختصة كإختصاص إن وأخواتها بالدخول على الأسماء، وإختصاص حروف الجر كذلك، وإختصاص الجوازم بالدخول على المضارع، وإما أن تصلح الأداة للدخول على مختلف أنواع الكلمات مثل (ما) النافية وأدوات الاستفهام فتكون غير مختصة"[2].

نجد أن تمام حسان قد حاول استنباط بعض القواعد الخاصة بضميمة الاختصاص، منطلقا من إستقراء بعض كتب النحو في الأصول ومسائل الخلاف ونذكر منها ما يلي:

– اختصاص الأفعال:

– الأفعال تختص بالتصرف[3] – الأفعال تختص بناء التأنيث.[4]

---

[1] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 216.

[2] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 155.

[3] المصدر نفسه، ج 01، 126، وينظر الأصول: تمام حسان، ص 224.

[4] ابن الأنباري أبو البركات (ت 577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صيد العصرية، بيروت، د ط، 1419هـ/1998، ج 01، ص 104.

– الأفعال تختص بالجزم وعلامته السكون[1] – تختص "أفعل" بنص النكرات بعدها على التمييز.[2]

– تختص الأفعال بدخول نون الوقاية لأن نون الوقاية تدخل على الأفعال دون الأسماء، تختص الأفعال بنون التوكيد.

– إختصاص الأسماء:

– تختص الأسماء بالنداء– تختص الأسماء بدخول إن وأخواتها.

– تختص الأسماء بالخفض– تختص الأسماء بعلامات التثنية بخلاف الأفعال – تختص بالتصغير.

– إختصاص الحروف:

نجد أن (إنّ) المشددة من عوامل الأسماء أما (إن) المخففة من عوامل الأفعال – تختص (اللام) و (من) بالقسم مع لفظ الجلالة.

– تختص حروف النصب بالدخول على المضارع.[3]

– تختص بعض حروف الجر بالدخول على أفعال بعينها، نحو الحروف (في) الذي يختص بالفعل: دخل للدلالة على الأزمنة والأمكنة.[4]

[1] بهاء الدين ابن عقيل (ت 769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ/2005، ج 01، ص 26 و ج2، ص 335.

[2] ابن الأنباري: السابق، ج 01، ص 129.

[3] المصدر نفسه، ج 01، ص 208.

[4] إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاقي، بغداد، د ط، 1966، ص 84.

الفرع الثاني: الافتقار

معنى الافتقار:

أن لفظ ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه الكلام غالبا، وإنما يتطلب في حيزه لفظا آخر لا غنى له عنه، وهو قسمان:

– افتقار متأصّل: أن يكون للفظ بحسب الوضع وهو افتقار العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال، وإن صح ذلك عن إرادة الدراسة والتحليل، مثال ذلك: افتقار حرف الجر إلى المجرور وغيرها وحروف العطف إلى المعطوف وحروف الإستثناء إلى المستثنى.[1]

– افتقار غير متأصل: سمي غير متأصل لأن الافتقار هنا غير منسوب إلى الكلمة، فحين تقع الكلمة موقعها للتعبير عن الباب لا يكون الافتقار للكلمة لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل ومن تعريفات الافتقار نجد قول ابن هشام والأشوني على ألفية ابن مالك في باب المعرب والمبنى حين يقول:

والإسم منه معرب ومبنى لشبه من الحروف مُدنى

كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متن وفي هنا

وكنيابة عن الفعل بـلا تأثر وكافتقار أُصِّلا

يقول ابن هشام: "الشبه الإستعمالي .....كأن يفتقر افتقارا متأصلا إلى جملة[2]" وضرب عدة أمثلة على ذلك كافتقار المضاف إلى المضاف إليه كذلك نجد من كلامه "افتقار أصِّلا ويسمى الشبه الافتقاري وهو أن يفتقر الاسم إلى الجملة افتقار مؤصلا أي لازما كالحرف في: إن، وإذا وحيث والموصلات الإسمية، أما ما افتقر إلى مفرد ك"سبحان" أو إلى جملة، لكن افتقار غير متأصل كافتقار المضاف في نحو قوله تعالى: "قال الله هذا يوم ينفع

[1] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 154.

[2] ابن هشام الأنصارية (ت 671هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمود مصطفى الحلاوي، أحمد سليم الحموي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998، ج 01، ص 60، 61.

الصدّيقين صدقهم"[1]، إلى جملة بعده فلا يبنى، لأن افتقار (يوم) إلى الجملة بعد ليس لذاته وإنما هو لعارض كونه مضافا إليه وبالتالي نرى أن مبدأ الافتقار أنه يترتب عليه أن لا يستغني بحرف العطف عن المعطوف ولا بالحروف المصدرية عن الفعل ولا بالموصول عن الصلة عكس الافتقار في مصطلح النحاة إذن "اللفظ قد يستغنى بنفسه عن غيره كإستغناء الفعل اللازم عن المفعول به" ومن قواعد الإستغناء نجد أمثلة كثيرة مناه: الفعل لابد له من فاعل، لأن الفعل والفاعل منزلة الشيء الواحد[2]– كذلك افتقار المبتدأ إلى الخبر[3]– الجار يفتقر إلى ما يتعلق به لأن "حرف الجر لابد من شيء تتعلق به"[4]– افتقار الصفة إلى الموصوف[5] لأنه لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف لأنها كشيء واحد بخلاف المعطوف والمعطوف عليه[6] إلى غير ذلك من الأمثلة.

المطلب الرابع: التضام والتوارد والمصاحبة اللغوية

الفرع الأول: التوارد والتضام

التوارد في اللغة من ورد يرد، جاء في لسان العرب :"ورد فلان ورودا بمعنى حضر، وورد الماء وورد عليه أشرف".[7]

إصطلاحا: هو "اتفاق شاعرين على معنى واحد يريدانه جميعا بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع".[8]

---

[1] سورة المائدة، الآية 119.

[2] ابن الأنباري: الأنصاف، ج 01، ص 79، 80.

[3] ابن الأنباري: السابق، ج 01، ص 245.

[4] المصدر نفسه، ج 01، ص 246.

[5] ينظر: شرح الأستموني، ج 01، ص 50.

[6] جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، اعتنى به: محمد فاضلي، الجرائد أبحاث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007، ج 01، ص 649.

[7] ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل، حقق وعلق عليه ووضع حواشيه أحمد عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، ج 03، ص 558–561.

[8] أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة ناشرون، لبنان، الطبعة الأولى، 2001، ص 192.

بيد أن التوارد الذي نبحث عنه في هذا الموضوع بخلاف هذه التعاريف إذ لا يعدو ما اصطلح عليه تمام حسان المرادف للتضام من الناحية البلاغية والمعجمية.

إن دراسة المعنى المعجمي تتعدد وتتراوح بين عدة قضايا وأبواب منها ما يعرف بالحقول المعجمية ومنها الترادف، والتضاد، والمشترك اللفظي والتوارد، ثم إن بعض الوحدات المعجمية تنتظم مع بعضها الآخر بغرض تكوين عبارة إذا ما كانت: "مشحونة بسمات دلالية وسمات صرفية وسمات نحوية وقيود توارد".[1]

والمقصود بالتوارد: "هو أن بعض الكلمات يرد مع بعضها الآخر ولا يرد مع بعض ثالث[2] وهو كذلك "نصيب العلاقات المعجمية في تحقيق الدلالة النحوية أو الإفادة من الجملة".[3]

وبالتالي نجد أن تمام حسان قد أعطى عدة أمثلة توضح هذا المقصود.

حيث يقول "إن كلمة الجلالة تتوارد بالإضافة مع كلمة واحدة هي الملك وأن كلمة الصديق تتوارد بالوصفية مع كلمات مثل: الوفي والحميم وأن كلمة دجلة ترد بواسطة العطف مع كلمة الفرات. ومع ذلك لم يجعل التوارد صالحا أن يكون قرينة نحوية وعلى الرغم من أن تمام حسان قد أفاد من أصحاب النظرية التحويلية في فهم معناه من معناه من حيث أشار في أحد أبحاثه إلى هذا الأمر فقال: "أفدت في عرض فكرة التوارد من أفكار أصحاب النحو التوليدي"[4] إلا أنه يبقى صاحب الفضل في هذا الشأن.

---

[1] مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997، ص 112.

[2] تمام حسان: الأصول، دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو الفقه، البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 336.

[3] تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، 2007، ص 65.

[4] من خلال مقال لتمام حسان ضمن كتابه: اجتهادات لغوية، ص 61.

الفرع الثاني: التوارد والمصاحبة اللغوية

والمقصود بها "هي القرينة التي يمكن من خلالها انتظام الكلمات معا وإلى القيود المستعملة لبيان كيفية تضام الكلمات معا مثل "حروف الجر ومعمولها"[1]. هنا نلاحظ كيف انتقل بنا من استعماله المصاحبة اللفظية إلى القيود إلى التضام، بعد أن ترجم المفردة الإنجليزية Collocation بالمصاحبة اللغوية[2] التي تشمل عنده العناصر المعجمية السابقة وعلى هذا الأساس فإن المصاحبة اللغوية بين أجزاء الجملة الواحدة أو أجزاء النص هي نوع من الإتساق المعجمي[3]، وبالتالي فمعنى المصاحبة المعجمية هي "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك".[4]

المطلب الخامس: مظاهره ومتعلقاته

الفرع الأول: علاقات التضام

إن هاته العلاقات هي علاقات داخلية موجودة بين عناصر من داخل نمط معين وإن مجموعة من العلاقات التي تنتمي إلى أقسام مختلفة من أقسام الكلام قد يسمح أو يتطلب تواجد كلمة من قسم آخر لكي يكون الجميع جملة أو جزء معين من جملة. وبالتالي فعلاقات التضام تؤدي دور رئيسي في تحديد أقسام الكلام، ففي عبارة "إن النسيم يداعب الأشجار الوارفة" نلاحظ أن "كل قسم من أقسامها لابد أن يكون رابط طالما أنه يتضام ويتعلق بما يسبقه أو يتلوه من الكلمات بأحد صور التعلق سواء بالتضام المباشر أو بالتضام في وجود كلمات أخرى"[5] نستطيع اعتبار كلمة "النسيم" رابطة، فقد ربطت كلمة النسيم الأداة (إن) بالفعل "يداعب" لأنك تقول إن النسيم، كما تقول النسيم يداعب، أو تقول مباشرة: إن النسيم

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم النص بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ج 01، ص 41.

وينظر: مقالات تمام حسان، ص 138.

[2] المرجع نفسه، ج 01، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ج 01، ص 42. ومحمد الخطابي: لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، 1988، ص 237.

[4] صبحي إبراهيم الفقي، ج 01، ص 42.

[5] مرجع نفسه، ج 01، ص 143.

يداعب فإذا أدخلت الأداة (إن) تشكل لك: إن النسيم يداعب الأشجار الوارفة فتكون عبارة على أحسن ما يكون الترابط. وبالتالي فهذه العلاقة لا تعمل على ربط عنصر واحد بالعنصر الذي يليه فقط، بل قد تعمل مع علاقة الاستلزام على ربط أكثر من عنصر بعنصر آخر ينتج في الأخير نمط أكبر حجم وكلام أطول استمرار وتسلسلا، ومن العلاقات التي تعمل من خلال علاقات التضام والترتيب:

علاقات الاستلزام– التطابق– عدم التطابق– الاشتقاق.[1]

على أن أهم هذه العلاقات علاقة الاستلزام وهذه بعض صورها:

– سوف: لابد أن يأتي بعدها فعل مضارع أو الأداة إلا

– قد: لابد أن يأتي بعدها فعل مضارع أو ماضي.

الفرع الثاني: القاعدة النحوية والتضام

ويقصد هي تلك القاعدة السابقة على القيود والتعريفات كقاعدة رفع الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ أو تقدم الفعل على الفاعل وتقدم الموصول على صلته، وافتقار الحرف إلى مدخوله كقول النحاة الأصل في الصفة أن تصبح الموصوف فالقرينة هنا قرينة تضام ونحو: الأصل في المعارف ألا توصف وأن حرف انخفض لا يدخل على حرف انخفض"[2] فهذه الأمثلة وغيرها هي نماذج من مجموعة من القواعد التي تدور حول ما تحقق به الإفادة من القرائن.

ومما تتناوله هذه القواعد في كتب الخلاف وأصول النحو تتناول أصول القرائن "كالإعراب والإعمال والبناء والرتبة والتقديم والتأخير والإفراد والتركيب والافتقار والاستغناء والتقدير والتصرف والتغيير والتأثير والتضام والتناقض والحذف والزيادة إلى غير ذلك من هاته القواعد[3] لأن هذه الأخيرة مرتبطة بثلاث قواعد وهي الإستدلالية والمعنوية والمبنوية ومرادنا هنا تبيان القواعد المبنوية التي بدورها تنقسم إلى قسمين، تحليلية وتركيبية وما

[1] المرجع السابق، ج 01، ص 166.

[2] المرجع نفسه، ص 209، ص 211.

[3] المرجع نفسه، ص 209، ص 211.

التضام إلا عنصر من عناصر القواعد التركيبة[1] لأنه تركيب وبناء وهنا نذكر بعض قواعد التضام على سبيل المثال لا الحصر:

– الحرف لا تعلق بالحرف – عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء والعكس صحيح.

– لا يجوز الفصل بين حرف الجزم والفعل بإسم لم يعمل فيه ذلك الفعل.

المطلب السادس: عوارض التضام

إن للتضام عوارض تتمثل في قسمين رئيسيين هما:

الفرع الأول: الفصل

وهو نوعان فصل بلاغي وآخر نحوي[2] ويقصد بالبلاغي بحذف حرف اربط الذي يربط جملة بأخرى، والفصل ينم دائما عن موقف إنفعالي قد يكون خوفا أو غضبا أو استعجالا أو تعجبا، وهو من المواقف الجدية[3]، أما الفصل النحوي ويقصد الفصل بين أجزاء الجملة المتلازمة أو المرتبطة برابط السياق بعنصر من عناصر الجملة غير أجنبي عنها فإذا كان بكلمة مفردة فهو فصل، وإذا كان بجملة فهو اعتراض، والفصل النحوي نذكر بعض صوره:

الفصل بين الفعل والفاعل والمفعول به: لأن علاقة الفعل والفاعل شبيهة بعلاقة الجزء بالكل، فلا يجوز الفصل بينهما بأجنبي، ولقد أجاز النحاة هذا النوع من الفصل إذا كان الفاعل غير أجنبي نحو قوله تعالى: "يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم"[4] فصل بين الفعل وفاعله لإفادة تقييد التسبيح بالجار والمجرور، ثم بالفاعل بين الجار وصفاته لئلا تطول بين ركني الجملة بما ليس من أركانها[5]. وقد يفصل بالمفعول والظرف والجار والمجرور بين الفعل والفاعل، ومنه الفصل لمفعول بين الفعل وفاعله لقوله تعالى: " يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ

[1] القواعد التركيبية من بين مجموع ما سبق ذكره من القرائن الأعمال الاختصاص افتقار...إلخ، المرجع السابق، ص 210.

[2] تمام حسان: البيان وروائع القرآن، ص 175.

[3] المرجع نفسه، ص 180.

[4] سورة الجمعة، الآية 01.

[5] تمام حسان: السابق، ص 176.

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا"[1] لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، تم فصل المفعول وصفته بالفاعل لئلا تطول الشقة بين ركني الجملة بواسطة الفضلة.[2]

- الفصل بين التابع والمتبوع:

أ- الموصوف وصفته: نحو قوله تعالى: "قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض"[3]، فصل بينهما (لفظ الجلالة) وفاطر مبتدأ مؤخر (شك)، لأن الفصل بالصفة المركبة من الإضافة بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ليصير الكلام" أفي الله فاطر السموات والأرض شك" هذا الفصل يضعف ما بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر من رابطة ويجعل التركيب قلقا.[4]

ب- بين المتعاطفين: نحو قوله تعالى: "قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده، علم الكتاب"[5] أي كفى بالله ومن عنده علم الكتاب للشهادة بيني وبينكم، ففصل بين التمييز وما تعلق به من ظرفية بين المتعاطفين.[6]

ت- الفصل بين التوكيد والمؤكد: نحو قوله تعالى: " ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ".[7]

- الفصل بين المتضايقين: إن من الفصل بين المتضايفين ما هو جائز في السعة للبصريين في تخصيصهم ذلك بالشعر مطلقا، فجائز في السعة ثلاث مسائل:

أ- أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله نحو قوله تعالى: " وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ"[8] وقول الشاعر:

---

[1] سورة الأنعام، الآية 158.

[2] تمام حسان: السابق، ص 178.

[3] سورة إبراهيم، الآية 10.

[4] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 179.

[5] سورة الرعد، الآية 43.

[6] تمام حسان: السابق، ص 176.

[7] سورة الأحزاب، الآية 51.

[8] سورة الأنعام، الآية 137.

عتو إذ أجبناهم إلى السلم رأفة فسقناهم سوق البغاث الأجادل[1]

وإما ظرفه كقول بعضهم: ترك نفسك وهواها سعي لها في رداها.[2]

ب- أن يكون المضاف وصفا والمضاف إليه مفعوله الأول والفاعل مفعول الثاني نحو قول الشاعر:

فَرِشْنِي بخير لا أكونن ومدحتي كناحت يوما ضخرة بعسيل[3]

ج- أن يكون الفاصل القسم: نحو: "هذا غلام والله زيد"، حكى ذلك الكسائي، وحكى أبو عبيدة: "أن الشاة لتجتر فتسمح والله صوت ربّها"[4] وما سوى ذلك فمختص بالشعر، وقد جاءت المسائل عند الصبان والاشموني.[5]

- الفصل في أسلوب المدح والذم: لقوله تعالى: "بئس للظالمين بدلا".[6] في الآية فصل بالمجرور بين الضمير في (بئس) ومميزه 'بدلا' والتقدير بئس بدلا للظالمين ذرية إبليس[7] والمقصود بالذم ذرية إبليس وحذف للدلالة عليه.

- الفصل بين الفعلين والمتعجب منه: إن لم يتعلق الفصل بهما فلا يجوز إتفاق الفصل بين المعمول وعامله الضعيف الأجنبي، فلا يجوز لقيته فما أحسن زيدا، على أن يتعلق أمس بلقيت، وكذا إن تعلق بهما وكان غير ظرف نحو: ما أحسن قائما زيد، على أن يتعلق أمس بلقيت.

وكذا إن تعلق بهما وكان غير ظرف نحو: ما أحسن قائما زيدا، وذلك لأنه نوع تصرف في علم التعجب، وأما بالظرف فمنعه الأخفش والمبرد وأجازه الفراء والجرمي وأبو علي

---

[1] البيت لم يسم قائله: روي عن أبن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تحقيقي محمود مصطفى الحلاوي أحمد سليم الحمودي، دار الأحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ 1992، ج 03، ص 134.

[2] المرجع السابق، ج 02، ص 206.

[3] البيت لم يسم قائله: روي عن أبن هشام: أوضح المسالك، ج 03، ص 135.

[4] شرح الاشموني أو الحسن على نور الدين (ت في حدود 900هـ) على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مطبعة السعادة، مصر، 1343 ج 02، ص 208.

[5] حاشيته على شرح الاشموني، ج 02، ص 208.

[6] سورة الكهف، الآية 50.

[7] البيان في إعراب غريب القرآن، اين الأنباري، ج 02، ص 112.

والمازني، نحو: ما أحسن بالرجل أن يصدق، أحسن اليوم بزيد. ويجوز المبرد: ما أقبح بالرجل أن يفعل كذا.[1]

الفرع الثاني: الإعتراض

ويقصد أن "يأتي في أثناء الكلام كلام أو بين كلامين متلازمين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكته سوى رفع الإبهام"[2]، والجملة المعترضة التي تتوسط بين أجزاء الجملة المستقلة لتقرير معنى يتعلق بها أو بأحد أجزائها مثل: زيد طال عمره قائم[3] وقد جوز النحاة الفصل بها لما لها من استقلال في الفهم يحول دون نسبتها إلى مجرى الكلام، والمقصود كذلك بالاعتراض: "اعتراض مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالا حقيقيا تتحقق به مطالب النظام النحوي فيما بينها"[4]. ومن أمثلتها نجد:

– الاعتراض بجملة الشرط المحذوفة الجواب لتعظيم القسم وتفخيمه لقوله تعالى: "وإنه، لقسم لو تعلمون عظيم".[5]

الاعتراض في النداء: لقوله تعالى: "قال الملأ الذين استكبروا من قومه، لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا".[6]

إن من عوارض التضام ما يلاحظ في بعض الجمل التي تحتاج إلى عاطف يعطف عليها، فكما لا يجوز أن تضم التوكيد على مؤكد بضّام كذلك لا يجوز أن تضم الجملة المنزلة من التي قبلها منزلة التوكيد بعاطف، لأنها تتصل بها اتصالا داخليا وهو أقوى من الاتصال الخارجي.

---

[1] أبو عباس المبرد (ت 285هـ): كتاب المقتضي، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1399هـ/1979، ج 04، ص 178.

[2] السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ): التعريفات، وضع حواشيه: باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003، ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 83.

[4] تمام حسان: البيان روائع القرآن، ص 184.

[5] سورة الواقعة، الآية 76.

[6] سورة الأعراف، الآية 88.

المبحث الثاني: التضام في الموروث النحوي

المطلب الأول: أقسام الكلم

إن الظاهرة النحوية بصفة عامة يمكن تمثيلها في جزأين كبيرين، الأول منهما تجسده الكلمات، والآخر يتمثل في العلاقات، والمشكلة ليست في الوحدات نفسها، وإنما في نضام تصنيفها الذي خالف فيه كثير من اللغويين المعاصرين نحاتنا القدامى خلافا بعيدا، فبعد أن استقر عند النحاة في الموروث العربي أن الكَلِم ثلاثة أقسام، اسم وفعل وحرف اتخذت مناهج جديدة لدراسة اللغة، وأصبح ما يعرف بالمنهج الوصفي سائد في الدراسات الغربية والعربية على حد سواء.[1]

إن معرفة نوع الكلمة يقود بالبحث إلى معرفة المعاني التي تتضمنها الجملة في ضوء معرفة القرائن الأخرى[2]، وبالتالي فمسألة التفريق بين أقسام الكلم تعد أساسا في تعيين المعنى المقصود في الجملة.

إذ بدأنا تقسيم الكلم منذ القدم نستحضر دراسات أرسطو أولا وطريقة تناوله، والحق أن أرسطو لو يتناول الكلام تناولا مباشرا ولم يعرض له في موضوع واحد، لقد تعرض للاسم في ONOMA كتابه "العبارة" تم تحدث عنها وعن أشياء من بينها يسمى الرابطة ثلاثة، ونحاتنا القدامى لم يقدموا تقسيما وحيدا للكلمة، وإنما قدموا إثنين، جاء كل واحد منهما بحسب الغرض منه قدموا تصنيفا عاما يضم أقسام الكلمة الرئيسية من أقسام دون فروعها، وآخر تفصيليا ذكر فيه ما لكل قسم من أقسام الكلمة الرئيسية من أقسام فرعية.

---

[1] محمد عبد العزيز عبد الدايم: النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006، ص 112.

[2] كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار الصفاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006، ص 179.

المطلب الثاني: التضام في الأبواب النحوية

سندرس في هذا المطلب ما يلي:

الفرع الأول: التضام في الجملة الإسمية

أ- المبتدأ والخبر:[1]

يتضح المبتدأ والخبر بعدد من القرائن بعضها معنوي وبعضها لفظي، فمن القرائن المعنوية العهد والإسناد، ومن اللفظية البنية والتضام والرتبة والإعراب، أما قرينة التضام فتشمل الافتقار والاختصاص والمناسبة والذكر والحذف والإظهار والإضمار.

- من قبيل الافتقار قول ابن مالك:

والخبر الجزء المتم الفائدة كالله بر، والأيادي شاهد[2]

إذ لا غنى للمبتدأ عن الخبر.

- ومن قبيل الاختصاص أنه إذ أجرى الضمير على غير من هو له وجب إظهاره مخافة اللبس ففي قولنا: "زيد عمرو ضاربة" يتبادر إلى الفهم أن الضارب هو عمرو، فإذا قصد المتكلم أن الضارب هو زيد، قال "زيد عمرو وضاربه هو". أما نحو "زيد هند ضاربها" يفهم من ذلك على الرغم من عدم إبراز الضمير.

Sy ndesmoi في البلاغة والشعر، وهذا التقسيم لم يستمر في الدرس اليوناني، فحديث أرسطو عن الرابطة مثلا لم يضف شيئا إلى ما كان يسميه النحاة العرب الحرف لدى البصريين أو الأداة لدى الكوفيين، أما الدرس العربي فقد ظهرت في آراء وتقسيمات أخرى وتأتي محاولة إبراهيم أنيس "أول مقاربة تنقد أسس النحو العربي ومنهجه نقدا ينزع إلى الشمول بهدف أن يغير منهج البحث اللغوي"[3]. ومن هنا فإن جانب تقسيم الكلم فإن مناهج

---

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت 180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون: الطبعة الأولى (1411هـ/1991): ، ج 01، ص23.

[2] بهاء الدين، بن عبد الله بن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيقي: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، د ط، د ت، ج 01، ص 201.

[3] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو، وعلم المعاني، دار الجامد للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004، ص 183.

الدراسة اختلفت حسب منهج كل واحد من المحدثين في تحديد المعايير المستعملة في التفريق بين الكلمات ونذكر منهم: – إبراهيم أنيس: حيث قسم الكلم إلى أربعة أقسام، يقول "وفق المحدثون إلى تقسيم رباعي حسب أنه أدق من تقسيم النحاة القدامى "الاسم، الضمير، الفعل، الأداة".[1]

– تمام حسان: حيث يقول "إذا قسمنا الكلمات العربية على هذه الأسس الخمسة المذكورة[2]، فسنجد أن هذه الأقسام التي تنتج من ذلك أربعة، الإسم، الفعل، الضمير، الأداة"[3] إلا أنه أعاد النظر في هذا التقسيم بعد مدة، وخرج بتقسيم آخر جعل فيه للكلم سبعة وهي: الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف، والآداة.[4]

إن الملاحظ في تقسيم تمام حسان مثلا يجد أنه اعتمد على معايير معنوية وأخرى شكلية، ونتيجة لهذا الاعتماد أصبحت أقسام الكلام سبعة دون ومن قبيل المناسبة المعجمية قول ابن مالك:

ولا يكون اسم زمان خبرا عن جنة وإن يفد فأخبرا[5]

ومعنى المناسبة المعجمية: "أن يكون الخبر صالحا لأن يسند إلى المبتدأ فلا يجوز مثلا أن نقول "السماء تحتنا" لعدم المناسبة.

ومن قبيل الذكر والحذف يقول ابن مالك:

وحذف ما يعلم من جائز كما تقول: زيد بعد من عندكما؟

وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذا عرف

وبعد لولا غالبا حذف الخبر حتم وفي نص يمين ذا استقر

وبعد واو عينت مفهوم مع كمثل "كل صانع وما صنع"

وقبل حال لا يكون خبرا عن الذي خبره قد أضمرا

[1] ينظر: أنيس ابراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1985، ص 292، 294.

[2] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، دار الثقافة، د ط، 1407ه/1986، ص 229.

[3] المرجع نفسه، ص 236، 237.

[4] اللغة العربية معناها ومبناها، ص 90.

[5] المصدر السابق، ج 01، ص 213.

كضربي العبد مسيئا وأتم تبييني الحق منوطا بالحكم[1]

ومن قبيل التضام في باب المبتدأ والخبر تعدد الخبر للمبتدأ الواحد يقول ابن مالك:

وأخبروا باثنين أو بأكثرا عن واحد كهم سراة شعرا[2]

ب- نواسخ الجملة الاسمية:

كان وأخواتها: تربط الجملة المنسوخة بـ كان وأخواتها بقرائن هي البنية، التضام، الرابط الإعراب، وفيما يلي ارتباطها بقرينة التضام بإيجاز.

فـ "كان وأخواتها" قد تكون تامة فتكتفي بمرفوعها وقد تكون ناقصة فتدخل على المبتدأ والخبر، وقد تأتي زائدة كزيادتها بين المبتدأ والخبر أو بين الفعل ومرفوعه، أو بين الموصول وصلته، أو بين الموصوف وصفته، وقد تحذف مع اسمها ويبقى خبرها بعد إن الشرطية، وبعد لو وبعد أنْ إذا تعاقبتها.

الفرع الثاني: التضام في الجملة الفعلية

يتكون تركيب الجملة الفعلية من فعل وفاعل، أو فعل ونائب فاعل، وأما الفعل والفاعل من حيث التضام فتوضحه هذه النقاط:

- الفعل مفتقر إلى فاعل كما في قول ابن مالك:

الفاعل الذي في مرفوعي (أتي زيد) (منير أوجهه (نعم الفتى)[3]

ومن تضام الفعل والفاعل قول ابن مالك:

والأصل في الفاعل أن يتصلا والأصل في المفعول أن ينفصلا[4]

- قد يحذف الفعل إذا دل عليه دليل، وإلى هذا أشار ابن مالك:

ويرفع الفاعل فعل أُضْمِرا كمثل زيد في جواب من قرأَ[5]

---

[1] ابن عقيل: شرح ابن عقيل على آلفية ابن مالك، ج01، ص 243، 246.

[2] المصدر نفسه، ج 01، ص256

[3] المصدر السابق، ج 02، ص 74.

[4] المصدر نفسه، ج02، ص 96.

[5] شرح ابن عقيل، ج02، ص 85.

أما نائب الفاعل من حيث التضام فإن الفعل المبني للمفعول مفتقر إلى نائب الفاعل يعقب الفاعل بعد تحول بنية الفعل، ولا يجوز تعدده حيث يقول ابن مالك:

ينوب مفعول به عن فاعل فيما له كنيل خير نائل[1]

الفرع الثالث: ظن وأخواتها

يقول ابن مالك:

انصب بفعل القلب جزأي ابتدا أ عنى: رأهَ، خَالَ، علمت، وجدا

ظن، حسبت، وزعمت، مع عد حجا، درى، وجعل اللد كاعتقد

وهب، تعلم، والتي كصيرا أيضا بها أنصب مبتدأ وخبرا[2]

فظن وأخواتها من حيث التضام يدخل كل واحد من هذه الأفعال على المبتدأ والخبر فينتصبان بعده بالمفعولية نحو: ظننت زيدا حاضرا، ويصدق ذلك على كل تصرفات الأفعال إلا: هب، وتعلم لأنهما يلزمان صيغة الأمر دائما.

الفرع الرابع: التعدد في جملة النعت

فمن حيث التضام إنه "إذا اتضح المعنى دون النعت أو المنعوت وقام الدليل على حذف أحدهما جاز الحذف نحو قوله تعالى: "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"[3]

أي غير معيبة نحو قول ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عُقِل يجوز حذفه وفي النعت يتل[4]

الفرع الخامس: التوكيد

أ- من حيث التضام أنه يتم التوكيد بواسطة التكرار، نحو: من جهل قدره فهو مهين. وهذا معنى قول ابن مالك:

---

[1] المصدر السابق، ج02، ص 111.

[2] المصدر نفسه، ج02، ص 28.

[3] سورة الكهف، الآية 79.

[4] ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج03، ص 205.

وما من التوكيد لفظي يجى مكررا كقولك: (ادرجي ادرجي)[1]

ب- لا يجوز تكرار الضمير المتصل إلا متصلا بما صاحبه نحو: والله إنك لفاضل، وهاما يريده ابن مالك: ولا تُعِد لفظ ضمير متصل إلا مع اللفظ الذي به وُصِل[2]

ج- وكذلك حال الحرف المؤكد إذا تكرر نحو المثال السابق ونحو:

في الدار في الدار زيدٌ، ونحو قول ابن مالك:

كذا الحروف غير ما تحصلا به جواب: كنعم، وكبلى[3]

الفرع السادس: التضام في الحروف

لقد درس القدماء من النحاة الحرف على أنه جزأ قاصر لا يمكن إلا أن يكون تابعا للجزأين من الكلام[4] وكل من تعرض للحرف لم يخرج عن المعنى العام لهذه التعريفات، سوى ابن مالك الذي يعرفه "بالعلامة الصفرية أو العدمية من حيث إنه ما سوى الاسم والفعل"[5] حين قال: سواهما الحرف كهل وفي ولم فعل مضارع يلي لم كيشم[6]

فتعريف النحاة يعني أن معنى الحرف متوقف على تضامه مع كلمة أو كلمات أخرى بعكس الأسماء والأفعال التي تدل على معاني في نفسها، أما منزلته في السياق النحوي فإنه دوره في الجملة يقوم به تضام الجملة وترابطها وتقوية الضعيف من أجزائها، بخاصة حروف الجر التي تعتبر واسطة بين عامل الجملة والاسم المجرور مما يجعلهما يرتبطان بمحور الجملة ارتباطا معنويا، كارتباط الجزء بكله أو الفرع بأصله.[7]

باعتبار أن السياق النحوي "وحده هو الذي يضفي على الحرف قيمة خاصة إلى الأسماء وفقا لما يراه بعض النحاة.

---

[1] المصدر السابق، ج03، ص 213.

[2] المصدر نفسه، ج03، ص 215.

[3] ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج03، ص 215.

[4] يعرفه سيبويه بأنه "ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" ينظر: الكتاب، ج01، ص 12.

[5] الصادق خليفة راشد: دور الحرف في اداء معنى الجملة، منشورات جامعة قار، يونس بن غازي، دط، 1996، ص 36.

[6] شرح ابن عقيل، ج01، ص 23.

[7] ريمون طحان: الألسنية العربية، ج02، ص 27، أخذ عن الصادق خليفة راشد: السابق، ص 41.

المبحث الثالث: التضام في المورث البلاغي

سنتناول في هذا المبحث ما يلي:

المطلب الأول: مدخل عام إلى علم المعاني

المعاني جمع معنى، ومعنى كل شيء كما في لسان العرب "محنته وحاله التي يصير إليها أمر، والمعنى والتفسير والتأويل واحد.... وعنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام مقصده[1]، أما معنى علم المعاني فإن ذلك العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال والمراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجمل وأجزائها، فأحوال الجمل كالفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وأحوال أجزائها أحوال المسند إليه والمسند وٱسناد، ومتعلقات الفعل، وهو من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على المباحث البلاغية المتعلقة بالجملة، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو فصل ووصل. وبالتالي فالأوائل قد اكتفوا باستعمال كلمة المعاني مضافة إلى القرآن أو إلى الشعر، ولم يستقر علم المعاني إلا بعد فترة من الزمن كان قد ظهر فيها ما يعرف بمعاني النحو والنظم. ويعد كتاب "الأدب الصغير" أول مصدر يشير إلى تسمية الصياغة والنظم التي صيغت فيما بعد في نظريات أعقبتها دراسات قائمة بذاتها.

المطلب الثاني: منزلة التضام بين وجوه الإعجاز

إن مسألة إعجاز القرآن ووجوهه شغلت كثير من العلماء منذ فجر الإسلام وتعددت رؤاهم لها، وتشعبت أفكارهم فتنوعت الدراسات وتوسعوا فيها على قدر تنوع مناخي نظرهم فحصرها بعضهم في أربعة وجوه وبعضهم في عشرة أو أقل أو أكثر[2]، ومهما حاولنا أن نخرج برأي في قضية الإعجاز ومعرفة كنهه فان محاولتنا لاشك ستبوء بالفشل لان البلاغة

---

[1] ابن منظور: مادة (عنا)، ج 15، ص 122.

[2] يذكر القاضي عياض (ت 544هـ) أن القرآن معجز من أربعة وجوه "حسن تأليفي، صوره نظمه العجيب، الأخبار عن المغيبات، إخباره عن القرون السالفة، ينظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، خرج أحاديثه: أحمد بن أحمد محمد بن يحي المعروف بالشمني، دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006، ص 237 وما بعدها. ويذهب السكاكي إلى أن وجوه الإعجاز هي خمسة حيث قيل أن ما يجده أصحاب الذوق أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس الفصاحة والبلاغة: المعاني والبيان ينظر كتاب مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، د ت. السكاكي، السابق، ص 196.

وجودها متلثمة وربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتحلى عليك أما نفس وجه الإعجاز فلا" وما ثمة فإن قضية الإعجاز أولا قبل كل قضية بلاغية لها علاقة بموضوع التضام بسبب أن "الدراسات الساعية إلى بيان الإعجاز القرآني– كانت سبب مباشرا في تطور الدرس البلاغي ونضج مباحثه المختلفة.

إذ نرى أن القاضي عياض يورد لنا نصا نستشف منه ذلك الربط والتضام الذي يحصل بين كلمات القرآن وحروفه عند حديثه عن قصص القرآن وأخباره إذ يقول "ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئام. سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها"، فإذا كان الفصحاء يعجزون عن الكلام ويجبنوا أثناء عرض القصص والأخبار وسرد بعضها إلى بعض فإن القرآن لم يتصف بما يوصفون به البتة، ولك أن ترى حسن ارتباط بعضه ببعض.

وضم بعض كلمة إلى بعض، وهذا هو حال القرآن ود يدنه في كل تركيب منه، وإن روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصيغ، ثم طريقة النسق والسرد في الجملة ووجه الحذف والإيجاز في القرآن "على أتمه وليس فيه اضطراب أو التواء، ولا يجوز فيه عذر ولا تسويغ وهو منه بحيث يدعو بعضه إلى بعض ويريد بعضه بعضا، مما ينفي التصنع والتكلف والمحاولة[1]. وما أمر هذه العبارة الأخيرة عن مفهوم قرينة التضام عند تمام حسان ببعيد، فكلاهما الاستدعاء ومن الأخرى التوارد، وزاد الرافعي أنه قال: "مما ينفي عنه التصنع والتكلف والمحاولة" فلم يدع مجالا للشك في شيء، وأن القرآن انفرد نظمه عن كلام العرب بروح التركيب إذ تراه ينظر إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم، فمن هنا يتعلق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة، هي صفة إعجازه في جملة التركيب.[2]

[1] مصطفى صادق الرفاعي: إعجاز القرآن والبلاغة العربية، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003، ص 203.

[2] المرجع السابق، ص 191.

المطلب الثالث: التضام في ضوء نظرية النظم

الفرع الأول: الجذور البلاغية لمادة ضمم ومعانيها

ارتبطت مادة (ضمم) بموضوع البلاغة وإعجاز القرآن في كثير من نصوص اللغويين القدامى[1]، دالة على معاني الجمع والتأليف[2]، ولعل ارتباطها بالوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام من أقدم تلك النصوص وأبرزها، يقول عبد الجبار المعتزلي (ت 415هـ) في بيان هذا "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر في الكلام في الضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة بأن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاث رابع"[3] فما تكاد تنهي النص حتى تجزم أن أكثر الكلمة ترددا فيه كلمة (ضم) والتي تلتقي في أكثر من معنى مع ما يدل عليه التضام من جمع وإئتلاف ارتباطا وثيقا بمعنى الضم والتضام وبهذا التضام تظهر وتبين بخلاف ما اذا بقيت فرادى معزول بعضها عن بعض، وقد زان ابن طباطبا (ت 422هـ) بين النسج والنظم وجعل كلاهما بمعنى واحد هو ضم الكلمات بعضها إلى بعض متفقة مع معاني النحو أو النظم بمعناه البلاغي، ومتفقة مع الوزن، أي على البحر المبني عليه الشعر.[4]

وفي هذا السياق نلاحظ أن هناك عدة استعمالات لمواد لغوية كثيرة مقاربة المفهوم كالتأليف والوصف والمصاحبة والتضام والتجاور كلها، ذات صلة مباشرة بموضوع التضام في القرآن الذي يعالج تماسك الحروف والكلمات، ومن مرادفات مادة (ضمم) التي يستعملها عبد القاهر في الاستدلال على التأليف مادة (نضد) حيث يقول "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف

---

[1] ليس من مهمة البحث تتبع هذه المادة اللغوية تاريخيا وإنما الإكتفاء ببعض الإشارات العابرة والاستعمالات الوفيرة لجملة من العلماء.

[2] من ذلك ما قاله أبو هلال العسكري "وحسن الرصف أن توضع الألفاظ مواضعها وتكمن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير..." ينظر: كتاب الصناعيين، الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1989، ص 179.

[3] المغنى في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه: أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1380هـ/1960، ج 16، ص 199.

[4] عيار الشعر: دراسة وتحقيق وتعليق: محمد زغلول الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، دت، ص 32.

ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو انك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاده، وكذلك نجد أن من المصطلحات البلاغية التي تعني التضام بين الكلمات والجمل مادة لفق في نحو هذا النص: "وأن الأولى لم تلق الثانية في معناها وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقا للتالية في مؤداها[1]"، وإن كان التلفيق يعد من السرقات بحيث يلفق الشاعر بيته من عدة أبيات لغيره. فإن مادته اللغوية تتصل اتصالا وثيقا بمعنى التضام- فقولك لفقت الثوب ألفق لفقا بمعنى أن تضم شقه إلى أخرى فتخيطها، ولفق الشقتين ضم إحداها إلى الأخرى فخاطهما... وكلاهما لفقان ماداما مضمومتين[2] فلاحظ المعاني اللغوية التي تحملها هذه المادة واستعمال عبد القاهر له في جانب البلاغة لترى أن معنى لفق مرادف –إن جاز ذلك- لمعنى التضام والجمع والنظم والتأليف.

وتلتقي معاني الضم والتضام مع معاني النظم ورسومه الذي به تنتظم أجزاء الكلام وتلتئم في هذا النص الذي جاء به الخطابي (ت 388هـ) البيان أن النظم وجه من وجوه إعجاز القرآن حيث يقول: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان".[3]

وفي باب التأليف والائتلاف يورد صاحب "الطراز" نصا طويلا يجمع فيه بين الائتلاف ومعنى الضم والملاءة مستدلا بقوله تعالى: "إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى"[4] فهنا الآية لم تجئ "فإنك لا تجوع فيها وتضمأ وإنك لا تعرى ولا

---

[1] عبد القاهر الجرجراني: دلائل الإعجاز، اعتنى به محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة الناشرون، بيروت، الطبعة الأولى (1426هـ/2005م)، ص 51.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج 10، ص 397.

[3] بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها محمد خلف الله، محمد زغلول إسلام، دار إسلام، مصر، دط، د ت، ص 33.

[4] سورة طه، الآيتان 118، 119.

تضحى، بل أراد مناسبة أدخل من ذلك فجاء في هذا الصدد بكلمتي (ضم) و(تعلق) فضم كل واحد منهما إلى ما له به تعلق شديد الصلة بمقولة التضام وعينها وهو ما يعرب عنه نص آخر له: "فالألفاظ الرائقة بمنزلة الدرر واللآلئ وهو علم المعاني، وتأليفها وضم بعضها إلى بعض هو علم البيان، ثم وضعها في المواضع اللائقة بها عند تأليفها وتركيبها هو علم البديع"[1] وهذا النص في بيان علوم البلاغة المشتملة عليها آية من القرآن الكريم[2] يستعمل فيها كلمة التأليف مردفا إياها بكلمة الضم حتى كأنهما الشيء نفسه إلى غير ذلك من المعاني التي تحملها مادة (ضمم) من دلالة الضم والتضام في هذا الصدد.

الفرع الثاني: التضام وعلاقته بنظرية النظم

إن المتتبع لمادة نظم في جانبها اللغوي لا يجدها تخرج عن معنى الضم والإلتئام والتأليف[3]، وهذا المعنى اللغوي نفسه وقفنا عنده في تعريف التضام، فتضام الشيء مع الشيء يعني نظمهما واقتران بعضهما ببعض. مما يؤكد الصلة الوثيقة على الأقل في الجانب اللغوي.

ويجدر بنا أن نقول أن مهما تكن من اجتهادات فإن فكرة النظم لن تجد لنفسها القدرة الكاملة على الإحاطة والتنظير الذي يخضع إلى مقياس الشمولية كما هو الحال عند عبد القاهر في نظريته الشبيهة بمبدأ التخصص في هذا المجال".[4]

ولقد جدد هذا الأخير النظم بثلاث كيفيات متكاملة، بما ليس هو، وبالتعبير عن معناها عبارة مجملة وبتفصيل القول في شأنه، والبحث له عن أساس ملموس يتبين به فضل الكلام على اللغة[5]. والمتصفح لـ"دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" يلحظ أنه يبرح يستدل بالقرآن ويتفاعل معه، ففكرة النظم عنده هي "حصيلة إجتهاد أو صلة إلى رؤية نقدية اهتدى إليها

[1] المصدر السابق، ج03، ص 126، 139.

[2] سورة هود، الآية 44.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج 12، ص 686.

[4] محمد عباس: منهج البحث الأدبي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 162.

[5] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس: حمادي صمود+ تنوس، منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981، ص 505.

في عملية تفاعله مع النص القرآني وفي إدراكه لمنهجية التفهم لدلالة الإعجاز"[1] ودليل هذا المفهوم للنظم وهذا التفاعل مع النص القرآني هو تلك المواضيع المتعددة التي يبرهن فيها على نظريته من خلال إقامة علاقة تربط بين مفردات اللغة تتوخي فيها معاني النحو وأحكامه وذلك ضمن إطار ما يسميه التعليق.

المطلب الرابع: أثر السياق في التضام

السياق لغة من مادة (س و ق)، والسوق معروف، يقال: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوق وسياق، وهو سائق[2]، وله معنى بعديد عن هذه الدلالة بمعنى الموت، وجاء بمعنى نزع الروح، أما اصطلاحا فهو استعمال الكلمة في اللغة أو طريقة استعمالها أو الدور الذي تؤديه الكلمة[3]" أو هو مجموع يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى[4]، والسياق جسم حي، أو مجموعة من المواقف والإمكانيات، وفيه تقاطعات مستمرة إذ أن السياق يمثل دلالة الكلمة مع كلمات أخرى وهو جزء من المدلول، ومن هنا يتكون لدينا نوعان منه "مدلول الكلمة المفردة ومدلول السياق وما يضمه السياق مثل الجملة والتركيب والخطاب والنص والقصيدة.... إلى غير ذلك من الأشياء التي هي من تحدد بالقرينة والنظم"[5]، ولقد تعددت تقسيمات المحدثين للسياق وتنوعت تحديدا تهم له، ومن هذه التقسيمات تكونت أربعة أنواع للسياق مجملة في السياق اللغوي، والعاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي"[6]، على أن أهم أنواعه قسمان: لغوي وغير لغوي[7] حيث يشمل الأول السياق الصوتي والصرفي النحوي والمعجمي والتعبيري الذي يشمل بدوره السياق المبتكر والسياق الأسلوبي، أما غير اللغوي

---

[1] محمد عباس: منهج البحث الأدبي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 148.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج 10، ص 199.

[3] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1402هـ/1980، ص 86.

[4] حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، تقديم تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005، ص 21.

[5] جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ، 2007م، ص 137.

[6] أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999، ص 295.

[7] جاسم محمد عبد العبود: السابق، ص 140.

فيشمل السياق الثقافي والعاطفي[1]، على أن السياق اللغوي هو الذي يرتبط بموضوع دراستنا باعتباره "حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى" وهذا النظام وهذه المجاورة بين الكلمات التي يفرضها السياق اللغوي هي ما تسنى تسميته بالنظام أو توارد العناصر المعجمية أو استلزام الكلمات بعضها لبعض، لأن اللغة ليس لها أهمية إلا في سياقها الموقفي[2]، ولأن معنى الكلمة في حد ذاته هو مجمل السياقات التي يمكن أن تنتمي إليها، وهو ما اصطلح عليه تمام حسان "الماجريات" والسياق اللغوي هو المسؤول عن توضيح العلاقات الدلالية التي تحدث من تضام المفردات والعناصر المعجمية.

وإذا رجعنا بالسياق إلى دراسة البلاغيين فإننا نلمح وعيا بلاغيا بقيمته بحيث رأينا سابقا في نظرية النظم أنها استطاعت أن تعلن عن ميلاد فكرتين تعتبران من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث... هي فكرة المقام والمقال وأنبل من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهريتين أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنى، العبارة الأولى: لكل مقام مقال والعبارة الثانية: لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[3] فإذا أكدت العبارة الأولى خطر العنصر الاجتماعي وهو عنصر المقام عند دراسة المعنى الدلالي والعبارة الأخيرة لتلخص الصلة بين ظاهرة التضام في اللغة العربية وبين المعنى اللغوي الدلالي الاجتماعي وسيتضح أن أقسام المقامات الاجتماعية ترتبط بتعبيرات يتم فيها التضام بين الكلمات مختلفا باختلاف المقام.[4]

إن التركيب والسياق هما اللذان يمنحان الكلمات جمالا، ولو كانت الكلمة بمفردها موضع التمايز لما حسنت كلمة (الاخدع) في بيت الحماسة والبحتري ونقلت في بيت أبي تمام، بل إن كان يجب إما أن تحسن دوما وإما أن تثقل دوما فلو لا "هذه العلائق التركيبية

[1] ينظر هذه التقسيمات وتحديداتها: المرجع نفسه، ص 141، ص 150.

[2] محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426هـ/2006م، ص 31.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

[4] المرجع نفسه، ص 20، 21.

لفقدت الكلمات نظام الارتباط فيما بينها فهي أساس الترتيب بين ما قدم منها وما أخر"[1] فكلمة: الأخدع هذه في بيت الحماسة:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا[2]

ومما يتبين أن للسياق الذي ترد فيه المفردات متضاما بعضها إلى بعض دورا أساسا وفاعلا في دلالاتها وجمالها بخلاف ما تراه إذا كانت كلمات مفردة وألفاظا مجردة، فالسياق هو الذي يسمح بهذا التضامن الذي يضفي على الكلام روعة وجمالا، والتضام بدوره يسمح بالكلام في سياق مستمر وفقا لمقتضى الحال دون إهمال لجانب الدلالة أو الوضوح.

[1] عبد الله بن عبد الرحمان بانقيب: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني(ت 386هـ إلى عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008، ص 471.

[2] الليث: جانب العنق، الاخدع: عرق في العنق وهما اثنان نحو يمين وشمال والبيت للصمة بن عبد الله القشيري من قصيدته الشهيرة، ينظر: شرح ديوان الحماسة: احمد بن محمد المرزوقي. تحقيق أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991، ج 02، ص 1218.

المطلب الخامس: التضام والمصطلح البلاغي

المصطلح هنا لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس بل يرمز إليه لصلة بين الرمز والمرموز إليه، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا دائما على إحاطة بمعنى الشيء المسمى إصطلاحا، ومن أجل ذلك كثيرا ما نقول: هذه الكلمة لغة معناها كذا، واصطلاحا كذا".[1]

الفرع الأول: التضام ومقولات التأليف والتركيب

جاء في لسان العرب في مادة (ألف): قولك ألفت بينهم إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب وتألف وتنظم".[2]

أما اصطلاحا: فيحتمل معنا في الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق ومراعاة النظير والتأليف المبين عن المعنى هو "ما يحدثه المؤلف للكلام من ضروب النظم في الأسماء المفردة التي يستعملها من مضاف وغير مضاف، وفي الأبنية التي تستعملها من مبتدأ يسند إليه خبر أو فعل يسند إليه اسم أو شرط يعلق به جواب[3] والتأليف هو جمع الأشياء المتناسبة من الألفة وهو "حقيقة في الأجسام ومجاز في الحروف، والتأليف بالنسبة للحروف لتصير كلما والتنظيم بالنسبة للكلمات لتصير جملا"[4]. وهذا المعنى غير بعيد عن معنى التركيب الذي يجمع الحروف البسيطة وينظمها لتكون كلمة[5]، والتركيب عملية فنية ذات أبعاد صوتية ونفسية تتجاذب فيها المعاني والألفاظ وتجيء هذه على قدر تلك لا تزيد ولا تنقص، وقد جاء التركيب بمعنى ضم الأشياء مؤتلفة كانت أو لا، مرتبة أو غير ذلك.

---

[1] عبد الكريم خليفة: وسائل تطوير اللغة العربية العملية، مجلة اللسان العربي، المملكة المغربية، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، 1395هـ/1975، مج 01، ص 54.

[2] ابن منظور، مج 09، ص 10، 90.

[3] ينظر: شرح رسالة الرماني: العالم مجهول كأنه عبد القاهر الجرجاني، كشفه وعلق عليه زكرياء سعيد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997، ص 155.

[4] محمد عبد العزيز عبد الدايم: النظرية اللغوية في التراث العربي، ص 253.

[5] الشريف الجرجاني: التعريفات، ص 60.

الفرع الثاني: التضام ومقولات السبك والحبك

ترد مادة سبك دالة على التناهي في إمهاء الشيء بمعنى الإسالة، من ذلك سبكت القصة أسبكها سبكا، وهذا يستعار في غير الإذابة[1]، وسبكه ذوبه وأفرغه في قالب[2]، أما مادة حبك فمعناها إحكام الشيء في إمتداد وإطراد يقال: بعير محبوك القرى أي قويه، وحبُك السماء قال قوم: ذات الخلق الحسن المحكم[3]، ومنه الشد، والإحتباك الاشد الإزار وإحكامه[4]، أما من حيث الإصطلاح فإنهما –السبك والحبك، ويتسمان بالافصاح والإبانة والتساوق على أن السبك "معيار يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الإستمرارية في ظاهر النص Surface text، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها.

وأن معيار الحبك "يختص بالاسمترارية المحققة في عالم النصtextual world ، ونعني به الإستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم conceptsوالعلاقات Relations الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا وتلقيا وإستيعابا، وبها يهتم احتباك المفاهيم من خلال قيام العلاقات أو إضفائها عليها إذا لم تكن واضحة مستعلنة على نحو يستدعي فيه بعضه بعضا، ويتعلق بواسطة بعضه بعضا".

إن ترجمة هذين المصطلحين من الدراسات الغربية بذلت فيها محاولات كثيرة في مقابل ما يسمى عندهم Cohérence, cohésion فترجما إلى التماسك والإنسجام، والالتصاق، والالتحام، وعلى سبيل المثال قد ترجم تمام حسان Cohérence إلى الالتحام باعتباره أحد

[1] أحمد ابن فارس: أبو الحسن أحمد (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، مج 03، ص 129

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج 10، ص 438.

[3] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج 02، ص 130.

[4] ابن منظور: السابق، مج 10، ص 407.

المعايير النصية السبعة[1] إلى جانب السبك في مقابل Cohésion ، والقصد والقبول والإعلام والتناص والمقامية، في حين توصل سعد مصلوح بعد إمعان النظر وطول تفكير إلى السبك مقابلا لمصطلح Cohésion والحبك مقابل Cohérence لعلها الترجمة الأقرب إلى حقل الدراسة في هذا المجال خاصة إذا تعلق المصطلح بما يقابله في الموروث العربي، ومن هنا نجد أنه قد قامت تنظيرات القدماء وتبصراتهم في حبك الكلام وإيقاع المناسبة بين أجزائه على مادة نصية تمثلت أساسا في النص الأدبي بصفة عامة وفي النص القرآني المعجز بصفة خاصة عندما يتعلق الامر بأولئك الذين يشتغلون في حقل التفسير وعلوم القرآن، فكان همُّ هؤلاء من العلماء البحث في الوسائل التي تجعل من النص نصا مترابطا لا يتجزأ، والأسباب التي تمنحه التجانس والاتساق والتضام بين حروفه وآياته وسوره ونجد من هاته النصوص القديمة التي تستعمل السبك استعمالا لا يدع مجالا للشك في كونه معيارا أساسا في الإحكام والتراص.

قول الجاحظ: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[2] حيث يردف السبك بالإلتحام. كذلك له قول آخر "ونحن –أبقاك الله– إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج ومالا يزدوج، فمعني العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في السير والنبذ القليل".[3]

فقول الجاحظ أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحد معيار رئيس في الحكم على جودة الشعر أو البلاغة والكلام المنثور.

---

[1] ترجمة كتاب: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1148هـ/1998، ص 103.

[2] البيان والتبيين، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ/1998، ج 01، ص 67.

[3] المصدر نفسه، ج 03، ص 29.

وقد يرتبط السبك بمعنى الربط عند بعض الباحثين باعتباره ظاهرة في التراكيب النحوية وردت في اصطلاح النقاد بهذا الاسم، فيكون السبك بمفهوم البلاغيين ونقاد الأدب ظاهرة لا تقل شأنا في إحكام صياغة الجملة وتضام مكوناتها، ويكون بمفهوم النحويين ذا وسائل ومظاهر ينتظم بعضها ببعض تبعا للمعاني النحوية وتعتمد هذه الوسائل مبدأ الاعتماد النحوي والذي يأتي "في مستويات صوتية وصرفية وتركيبية ومعجمية ودلالية. كما يتخذ أشكالا من التكرار الخالص والتكرار الجزئي وشبه التكرار وتوازي المباني وتوازي التعبير والإسقاط والاستدلال، وعلاقات الزمن وأدوات الربط بأنواعها المختلفة، وكل أولائك إنما يتحقق في أنماط متداخلة متعانقة تتباين من نص إلى نص، كما تتباين داخل النص الواحد، وجدير بالذكر أن هذه الظواهر بعضها أو جلها في التراث البلاغي والنقدي عند العرب أشتاتا وفرادى".[1]

هذا من ناحية السبك أما من ناحية الحبك فنجده كذلك قد نال أهمية بالغة من طرف النقاد والبلاغيين.

وإذا كان الحبك لغويا يعني الشد والإحكام فإنه في معناه الإصطلاحي: "خاصية من خصائص الارتباط بين الأشياء والأوضاع وبين مراجعتها".[2]

وهو "أداة لغوية لفهم السبك فهما أعمق نراه في روايات الجاحظ عن بعض منتجي النصوص وفي إشارات ابن قتيبة وابن طباطبا والحسن ابن وهب وغيرهم عن الكلام الأخذ بعضه برقاب بعض، وانتظام المعاني وتشاكل المصارعين وإبناء على المصادر".[3]

[1] مصلوح سعد عبد العزيز: في البلاغة العربية والأسلوبيات النصية آفاق جديدة، جامعة الكويت فهرس مكتبة الكويت الوطنية، الطبعة الأولى، 2003، ص 245.

[2] محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة، للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، (1426هـ/2005)، ص 174.

[3] المرجع نفسه، ص 174.

الفرع الثالث: التضام ومقولات الرصف والتعليق

الرصف بمعنى ضم الشيء إلى الشيء الموارد ونظمه، تراصف القوم في الصف قام بعضهم إلى لزق بعض، ورصيف ما بين رجليه قربهما[1]، والرصف عند الجمهور هو مثال أول لقولهم: "رصف بين شيئين ضم بينهما... والرصف حجارة مضمومة في مسيل، وهو يرادف النضد وذلك لملاحظة الترتيب والنظام فيه، تم نقل إلى علم البيان على سبيل نقل الأسامي الجمهورية إلى الضائع الحادثة والمعاني الناشئة فيها من أجزائها لمناسبة موجودة بين المعاني الجمهورية والصناعية".[2]

أما التعليق فإنه من قوله: علق بالشيء علقا وعلقه: نشب فيه، والتعليق من علق، فإذا قيل علق بها تعليقا كان بمعنى ارتبط بها وأحبها.[3]

وهو في لسان علماء البيان مقول على حمل الشيء لملازمة بينهما، ولا نريد بالتعليق الذي يجيء فيكتب النقد والبلاغة بمعنى أن تعلق مدحا بمدح وهجوا بهجو[4]، أو ذلك التعليق الذي يأتي المتكلم فيه بمعنى في غرض من أغراض الشعر تم يعلق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحا لإنسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئا يدل على الشجاعة[5]، ولا التعليق الذي بمعنى إبطال عمل أفعال القلوب لفظا ولا محلا وجوبا نحو: علمت أزيد عندك ام عمرو، بخلاف الإلغاء فإن إبطاله لفظا ومحلا جوازا[6] كما هو عند النحاة، وإنما نقصد بالتعليق ههنا تأليف الكلمات وارتباطها على وجه من

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج09، ص 144.

[2] أحمد محمد القاسم السجلماني: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علاء الغازي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ/1980، ص 337.

[3] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة ناشرون، لبنان، الطبعة الثانية، 1996، ص 338.

[4] أسامة ابن منفذ: (ت 584هـ) البديع في البديع في نقد الشعر، حققه وقدم له عبد أعلى مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1407هـ/1987)، ص 94.

[5] ابن أبي اصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان الإعجاز القرآن، تحقيق، حنفي محمد شرف، القاهرة، دط، 1983هـ/1663، ص 443. وكتابه بديع القرآن، ص 171.

[6] محمد علي التهانوي (ت 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم تحقيق علي دحروج، لبنان، مكتبة الناشرون، دط، دت، ج01، ص 488.

المناسبة واللزوم، فإذا تعمقنا في هذه التعاريف على قلتها ألفيناها تعرب عن معاني الضم والتلفيق، دليلنا في ذلك تلك النصوص المبكرة للرصف والتعليق يقول الباقلاني لبيان وجوه الإعجاز: "ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة، ومترتبة في الوجود وليس لما نظم سواها[1]" حيث يجعل من عجيب النظم وبديع الرصف" الوجه الرئيسي من وجوه الإعجاز"[2] فالرصف يرادف النظم في هذا النص، وغيره من نصوص الباقلاني في كتبه المتعلقة بإعجاز القرآن وبيانه. ومن هذه النصوص التي تجمع بين الرصف والتنضيد للاستدلال على بدائع الاستعارات في قوله تعالى: "الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"[3] ما جاء به الشريف الرضى (ت 406هـ) من أنه سبحانه: "شبه القرآن لذلك بالنظائم المفصلة التي يوافق فيها بين الأشكال تارة ويؤلف بين الأضداد مرة، ليكون ذلك أحسن من التنضيد وأبلغ من الترصيف، وهذه من بدائع الاستعارات"[4] والقرآن على هذا المنوال من الرصف والتضام كله، والرصف قد يكون في وصف الأشعار المحكمة معادلا للنسيج والصياغة.[5]

[1] التمهيد، ص 151. أخذا عن حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، ص 493.

[2] ينظر: نكت الانتصار لنقل القرآن، دراسة وتحقيق: محمد زغلول سلام، منشأ المعارف، الإسكندرية، دط، دت، ص59.

[3] سورة هود، الآية 01.

[4] تلخيص البيان مجازات القرآن، تحقيق وتقديم: علي محمد مقدم، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1984، ص 101.

[5] ابن طباطبا محمد بن أحمد: عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، دت، ص 32.

المبحث الرابع: التضام في الدرس اللساني الحديث

المطلب الأول: التضام والمنهج الوصفي

لقد أطلت إلى سماء الدراسات اللغوية الحديثة مناهج جديدة ترفض القديم، وتقدح في الدراسة التاريخية للغة، والمعايير المجردة، وأصبحت تعتمد الدراسة الوصفية الآنية للغة، وتوجه الاهتمام إلى العلاقات المؤلفة للكلام، والتعمق إلى مداخل النص، ورفض كل ما تعلق بالتصورات السابقة لهذا النص، وهكذا اللغة فإن "صاحبها لا يحتاج أن يعرف شيئا عن اشتقاق كلمة أو تاريخها كي يستعملها، ومن ثمة فإن اللغة ينبغي أن يكون أفقيا أو على القطع الأفقي، ومنذ ذلك الحين وجد مصطلحا diachrony وSynchrony طريقهما إلى البحث اللغوي ليشير الثاني منهما إلى المنهج الوصفي"[1] وفي إثر ذلك قامت أصول ونظريات في أوربا على أن اللغة مجموعة من العلاقات بدء من المقال الذي نشره "موكارفسكي" عن "اللغة المعيارية واللغة الشعرية" منذ 1932م حيث أكد "أن الفن يتحقق بتتابع العلامات حيث ترتبط كل علامة جزئية أو كل علامة جديدة بما سبقها من علامات لتؤثر فيما بعدها"[2] أي أن مهمة اللغوي البحث في العلاقات التي تنتجها اللغة بين الأشياء.

الفرع الأول: التضام والعلاقات الأفقية والاستبدالية

لقد ارتبط اسم الدراسة الوصفية بمحورين بارزين هما المحور الرأسي أو محور التقليب diachronis والمحور الأفقي أو محور التركيب Synchronis بحيث يرسما متقاطعين هكذا.[3]

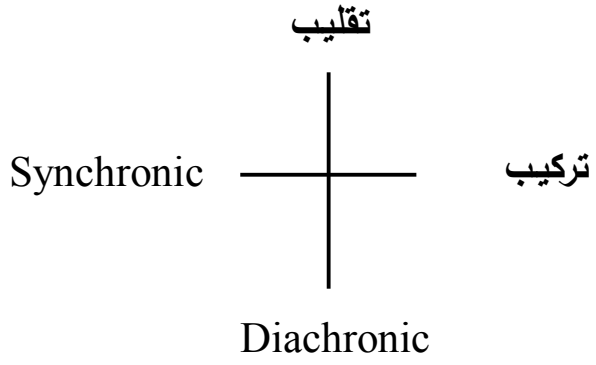

[1] عبد الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة، بيروت، دط، 1979، ص 29، 30.

[2] عبد الجليل مرتاض: في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007، ص 215، 220.

[3] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 148.

والمقصود بهذين المحورين أن: "العلاقات في داخل نظام اللغة لها أهميتها الخاصة وإن العلاقة التركيبية مثلا تحكم الترابط بين مفردات الجملة وعناصر النص، وأن العلاقة التقليدية مثلا تكشف عن النوع في داخل المصوفوفة أو الجدول[1]"، وما يتصل بموضوعنا هو تلك العلاقات التضامية والعلاقات الترتيبية، وإذا كانت العلاقات الترتيبية واضحة (العلاقات الأفقية أو العلاقات السانتاجمنية Sy ntagmalic Relation) بإستطاعتنا أن نلاحظها من نظام ترتيب الكلمات في الجمل، فإن العلاقات التضامية ليس على القدر نفسه من الوضوح، بل لابد من مقارنة مجموعة مرتبة من الجمل بعضها مع بعض، فنجد أن الجرجاني في بعض نصوصه يتبع كلامه عن موقع بعض الكلام من بعض باستعمال بعضه مع بعض، فإن هذين النوعين من العلاقات في نظر الغربيين: "مما لا يصعب فصلهما عن بعضهما بعضا، لأن كلا منهما يلازم الآخر ملازمة الظل لصاحبه"[2] بيد أننا عند التضام ندرس حالة واحدة فقط، هي إمكانية أن تتضام الكلمة (س) مع الكلمة (ص) في حين أننا عند الترتيب ندرس أحوالا أخرى هي ما مدى إمكانية أن تأتي (ص) قبل (س) وهل هذه الإمكانية جائزة أو واجبة[3]، إذا التضام بحث في كلمتين متتابعتين، والترتيب بحث في متتابعتين أو متباعدتين.

إن استعمال علم اللغة للمحور الأفقي قد ارتبط بعلاقات أجزاء التركيب بعضها ببعض وهو ما يعد من قبيل القرائن النحوية، كالموقع الإعرابي، وعود الضمير ورتبة الكلمة، وافتقارها إلى مدخولها واختصاصها به، وكتحديد ما إذا كانت العلاقة بين اللفظين علاقة إسناد أو تعدية أو إضافة[4]، والعلاقة التركيبية في أبسط تعريفها "هي علاقة أفقية بين

[1] المرجع السابق، ص 150.

[2] جلال شمس الدين: الأنماط الشكلية لكلام العرب، نظرية وتطبيقا، دراسة بنيوية، مؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية، دط، 2005، ص 150.

[3] المرجع نفسه، ص 117.

[4] ينظر مقال: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة: تمام حسان، مجلة فصول، مج 07، العددان 04، 03، 1987، ص 23.

مفردات الجملة[1] ولقد وجد تمام حسان أن نظام النحو ينمي في داخله التقليبية ويثريها فعدل الشكل السابق إلى هذا الشكل[2]: وكل هذه الاستعمالات (المعاقبة والتضاد والتكامل) فروع على العلاقة التقليبية، وجمع ذلك يقف بإزاء التتابع الذي هو مظهر العلاقة التركيبية، والتتابع إنما "يفهم في العلاقات التي تقوم على السطر بين عناصر أنماط الجمل والمركبات وبين التابع والمتبوع.... والفصل الوصل، كل موقع من هذه المواقع إنما يقوم بين عنصرين من عناصر النص أفقيا على السطر لا رأسيا في الجدول"[3] فعلاقتا التقليب والتركيب ذواتا صلة وثيقة بقرينة التضام التي من خلالها نعرف إمكان التوارد والمعاقبة والتنافي أو التضاد والتكامل على أن التتابع هو المسرح الأصيل لقرينة التضام في السياق.[4]

ولئن كان الغربيون اعتمدوا هذه المناهج في دراسة اللغة وبنوا دراستهم على أساس هذين المحورين فإن الدرس اللغوي في موروثنا العربي كان على قدر كبير من الاهتمام في هذا المجال.

الفرع الثاني: التضام والدراسة الشكلية

لقد تزامن مع دراسة اللغة وفق المنهج الوصفي الذي يعتمد القراءة الآنية أو المحور الأفقي اهتمام كبير بالشكل دون المعنى، ورأى الدارسون أن الشكل هو المعول عليه عند اللغوي، وينبغي عليه ان يدرس الاشكال اللغوية في ذاتها أي باعتبارها اشكالا، وليس على أساس من المعاني التي تتصورها ابتداء، فمعيار الشكل عند هؤلاء معيار رئيس لضمان صحة المنهج والدراسة والنتائج. وقد رد غير واحد منهم بأن التركيبات الشكلية هي هم اللغوي الأول، وهي تقتضي دراسة الأنماط في الصوت والكلمة والجملة، ثم إن خصائص اللغة حتى البدائية منها هو اكتمالها الشكلي، وهذه الطرق قد سماها إدوارد سابير مثلا

[1] تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 151.

[2] المرجع نفسه، ص 151.

[3] المرجع نفسه، ص 153.

[4] المرجع نفسه، ص 154.

الشكلية العمليات النحوية[1] لذا نجد كثيرا من الدارسين الغربيين يرفضون التقسيم التقليدي للكلم لأنه يحمل تصورات سابقة وهو ما لاحظناه في تقسيم العرب المحدثين للكلم ورفضهم ذلك التقسيم الثلاثي، وكيف أنهم اعتمدوا معيار الشكل بالدرجة الأولى.

لذلك نجد أن أغلب اللغويين المعاصرين يرون أن النحو أو التحليل النحوي ينبغي أن يكون شكليا، حيث يقول روبيرت: "إن النحو مسألة خاصة بالشكل، وإن التحليل النحوي جزء من تحليل الشكل النحوي، ولذلك فإن إقامة فصائل نحوية وإن الوصف النحوي على أساس المعنى، كما يفهم بوجه عام أو على أساس من المعنى على مستويات غير المستوى النحوي هما نتيجة لهذا، غير ذوي الشأن بالنحو.[2]

وهذا الاهتمام بالشكل كان قوام القرائن النحوي التي اعتمدها تمام حسان في الدرس النحوي، خاصة ما يتعلق بقرينة التضام التي راعى فيها الجانب الشكلي بدقة متناهية. ونجد أن ابن مالك النحوي أعطى عدة أمثلة لبيان أقسام الكلم إذ نجده يقول:

بالجرّ والتنوين والنّدا وآل ومسند للاسم تمييز حصل[3]

فنجده بعيدا عن فكرتي الحدث والذات المعتمدتين على المعنى، وقوله بما يضام الاسم من حروف الجر بما يدخل عليه من التنوين وتعريفه بـ "أل" وبالإسناد إليه كلها معاير شكلية. ونحو قوله في تحديد الفعل:

بتا فعلت وأتت ويا افعلى ونون أقبلن فعل ينجلى[4]

هنا ذكر أن الفعل يمتاز عن الاسم والحرف بتاء فعلت، والمراد بها تاء الفاعل وهي المضمومة للمتكلم، والمفتوحة للمخاطب، والمكسورة للمخاطبة. أو تمييزه الحرف بقوله:

سواهما الحرف كهل وفي ولم فعل مضارع يلي لم كيشم

[1] عبد الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص 34.

[2] محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1420هـ/1999، ص 188.

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بتحقيق: إميل بديع يعقوب، ص 21.

[4] المصدر السابق، ص 25.

وماضي الأفعال بالتا مز وسم بالنون فعل الأمر إن أمرّ فُهم[1]

مشير إلى أن الحرف يمتاز عن الاسم والفعل بخلوه من علامات الأسماء وعلامات الأفعال ثم مثل له بـ: هل، وفي، ولم، فابن مالك "يتخذ من التضام وسيلة من وسائل الكشف عن أقسام الكلام"[2].

المطلب الثاني: التضام ولسانيات النص

إن اللسانيات النصية حسب تعريف "روك" هي: "ذلك العلم الذي يهتم ببنية النصوص وكيفية جريانها في الاستعمال، وتحاول تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى غير الجملة هي النص"[3] والنص بهذا المفهوم يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع المكتوبة وغير المكتوبة الإبداعية وغير الإبداعية فهي علم يولي اهتمامه بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى انطلاقا من أسس ومعايير.

ووظيفة هذا العلم أن يكون قادرا على وصف وتفسير الملامح المشتركة والمتباينة بين مجموعة من النصوص وأنماط مختلفة منها[4]، وهو كذلك: "العلم الذي أقترح من خلال مقترباته النظرية والإجرائية الاهتمام بالظواهر المرتبطة بالانسجام النصي"[5] وقد يصطلح على هذا العلم النصية أو نحو النص، لأنها تعني أولا وأخيرا بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه، ومحتواه الإبلاغي أو التواصلي[6] ما دامت قائمة على عنصري التواصل والتماسك النصي ويقصد بها: "التخصيص الذي موضوعه النصية (textualité) أي خصائص الإتساق والإنسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل الجمل.

---

[1] المصدر السابق، ص 26.

[2] جلال شمس الدين: الأنماط الشكلية لكلام العرب، ص 113.

[3] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص 167.

[4] ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: عبد المنعم عبد الجليل، نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، الاسكندرية، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2007، ص 337.

[5] رياض مسيس: لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرز، عدد خاص بالملتقى الوطني حول "دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، الجزائر، بوزريعة، 2002، ص 161.

[6] أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2007، ص 247.

ولعل اختلاف مفهومه عند الباحثين وصعوبة تحديده راجع إلى تنوع مفهومه للنص وتعيين معايير النصية ووفرة المصطلح وتنوع الترجمة.

ومن هنا نرى أن النص قد شغل اهتمام الكثير من النقاد والباحثين، وأخذ تعريفات متعددة في حقل اللسانيات ولعل أهمها تعريف روبرت ألان دي بوجراند ووولفجانج أولرخ دريسلار من حيث أنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص"[1] والنص من حيث هو ملفوظ "يشبه جبل الجليد العام يبرز للعيان جزء يسير منه هو شكله الصوتي، وهو ما يمثل الجانب الفيزيائي فيه الذي ينتسب به إلى صاحبه ويستقل به عن سائر النصوص".[2]

ويذكر هاليدي ورقية حسن أن كلمة "نص" تستعمل في اللسانيات لتشير إلى مقطع منطوق أو مكتوب يشكل كلا متحدا[3]، وأن التضام عندهما مصطلح تغطية للاتساق الذي ينتج عن توارد العناصر المعجمية التي يرتبط أحدها بالآخر نحو ما تقدمه هذه الأزواج[4] "الولد، البنت، الطبيب، السيارة، الاسعاف، الطائرة، المطار، الرجل، الشارب والقوس، الرمح). وعلى كل فإن كلمة "النص" في اللغات الأوربية تعني "نسيجا من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز الجملة بالمعنى النحوي للإفادة...وهو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلامات تنتج معنى كلي يحمل رسالة".[5]

---

[1] سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية أفاق جديدة، ص 225.

[2] الأزهد الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص 169.

[3] ينظر: M.A.K.halliday, Ruqaiya hassan : cohesion in Englich congman Group limited, 1976, P01 (P :20,91,284,318 : collcation وينظر: حديثهما عن التضام.

[4] محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل لانسجام الخطاب، 1988، ص 237.

[5] نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، الطبعة الخامسة، 2006، ص 160.

فالنص بناء على هذه التعريفات منتوج مترابط متماسك تحكمه علاقات نحوية وتراكيب دلالية، ووسائل لغوية، تعتمد على معيارين أساسيين هما السبك والحبك[1]، بغض النظر عن بقية المعايير، لأن هذين المعيارين هما المختصان بصلب النص. هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد عبد القاهر الجرجاني يقول "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحتفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخجل بشيء منها"[2] ويقول في موضع آخر "اعلم أن ها هنا أصلا أنت ترى الناس فيه صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ لم توضع لتعرف معانيها في أنفاسها، ولكن لأن يضم بعضها بعض، فيعرف فيما بينها فوائد، وهو علم شريف وأصل عظيم"[3] ليقرر في هذين النصين الجوهريين أمور بالغة الأهمية، هو أن معاني النحو لا تقف في حدود الألفاظ المفردة أو الجملة، وإنما تتجاوزها إلى النص أو مجموعة من الجمل.

وبهذا القدر نكون قد تتبعنا قضية التضام في أصولها النظرية المتعلقة بالموروث العربي ثم الوصول بها إلى الدرس اللساني الحديث.

---

[1] ينظر: Shirley carter thomes : la cohesion textuelle, pour une nouvelle pédagogie de l'ecrit, Lharmattan, Paris France Montréal, Canada, 2000, P 07, 37, 42, 43.

[2] دلائل الإعجاز، ص 76.

[3] المصدر نفسه، ص 393.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على سورة يوسف

إن المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصر أخر، فيسمى التضام في هذه الحالة "التلازم" أو يتنافى معه فلا يلتقي به فيسمى "التنافي".

المبحث الأول: ترجمة السورة

المطلب الأول: التعريف بالسورة

سورة يوسف إحدى السور المكية الّتي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله "يوسف بن يعقوب" وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر، وفي السجن، وفي تآمر النسوة حتّى نجاه الله من ذلك الضيق والمقصود بها تسلية النبي (ص) بما مرّ عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

والسورة الكريمة أسلوب فذ فريد من نوعه في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف، تسرى مع النفس سريان الدم في العروق وتجري برقتها وسلاستها في القلب جريان الروح في الجسد.

فهي إن كانت من السور المكية الّتي تحمل في الغالب طابع الإنذار والتهديد، إلاّ أنّها اختلفت عنها في هذا الميدان فجاءت طريّة، ندريّة، في أسلوب ممتع لطيف، سلس رقيق يحمل جوّ الإنس والرحمة والرأفة والحنان[1].

التعريف بسورة يوسف: قال الفيروز آبادي (ت817هـ) هذه السورة مكية بالإتفاق وعدد آياتها مائة وإحدى عشر بلا خلاف (111) وكلماتها ألف وسبعمائة وست وسبعون (1776) وحروفها سبعة آلاف ومائة وستّ وستون (7166) وما فيها آية مختلف فيها[2]، وترتيبها في المصحف الشريف الثاني عشر، لم يذكر العلماء اسما آخر غير ما ورد في المصحف الكريم في حين أنّ هناك من السور ما تعددت أسماؤها.

---

[1] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القلم، الطبعة الخامسة، 1406هـ، 1986، ص 29.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، القاهرة، مصر، الطبعة 1416هـ، 1996، ج 01، ص 255.

المطلب الثاني: سبب تسميتها

قال محمد الطاهر بن عاشور: "وجه تسميتها ظاهر، لأنّها قصّت قصة يوسف –عليه السلام– كلّها، ولم تذكر قصّته في غيرها".[1]

المطلب الثالث: مقاصد سورة يوسف

كما لا يخفى على كل ذي لب أنّ القرآن الكريم حوى من العبر والأحكام والعظات والتشريعات ما تعجز عن بلوغه الأفهام، غير أنّ بعض العلماء رحمهم الله جمعوا بعض العبر والعظات من قصة يوسف –على نبينا وعليه السلام– نجمل بعضها فيما يأتي[2]:

- بيان قصة يوسف –عليه السلام– مع إخوته، وما لقيه في حياته وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.
- تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده.
- تحاسد القرابة بينهم.
- لطف الله بمن يصطفيه من عباده.
- العبرة بحسن العواقب والوفاء والأمانة والصدق والتوبة.
- سكنى بني إسرائيل وبنيه بأرض مصر.
- تسلية النبي (ص) لما لقيه يعقوب ويوسف –عليهما السلام– من آلهم من الأذى، وقد لقي النبي (ص) من آله أشد ما لقيه من بعداء كفار قومه مثل عمه أبي لهب والنظر بن الحارث.

"تلاها بهذه الصورة لبيان هذه الأغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة الّتي لقي فيها يوسف عليه الصلاة والسلام ما لقي من أقرب الناس إليه ومن غيرهم ومن الغربة وشتات الشمل ثمّ كانت له العاقبة فيه على أتم الوجوه لما تدرّع به من الصبر على شديد البلاء والتفويض لأمر الله جلاّ وعلا... فكان في سوق قصّته عقب الإخبار بأنّ المراد بهذا

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء 12، ص 197.

[2] المصدر نفسه، ص 198.

القصص تثبيته (ص) وتسلية فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له (ص) يوم الفتح من ملك قيادهم وردّ عنادهم ومنّه عليهم وإحسانه إليهم"[1].

كما عدد محمد الطاهر ابن عاشور بعض مقاصد وأسباب نزول سورة يوسف كذلك ذكر (إبراهيم بن عمر البقاعي) بعض مقاصد هذه السورة الكريمة، فمن بين ما أورده أنّ هذه السورة تضمنت مراحل حياة يوسف الصديق وما لقيه من تحاسد إخوته وبغيهم عليه، وشتات شمله وتفريقه عن والده، لكنّه لما تحمّل بالصبر والتقوى إثر ما تعرض له من فتن، كان له حسن العاقبة من علوّ شأنه وتولّيه على خزائن مصر ولمّ شمله مع والده وإخوته وعفوه عنهم. ففي رأيه أنّ من بين مقاصده أنّها تسلية للرسول اما يلاقيه من أذى القريب والبعيد وبشارة له بأن فرج الله قريب، وستزول عنه المحن والشدائد وتكون الغلبة للعصبة المسلمة، ويكون التمكين لدين الله وشريعته السمحاء.

المطلب الرابع: سبب نزولها

قال الألوسي (ت 1270هـ) إنّ: "سبب نزولها على ما روي عن سعد بن أبي وقاص أنّه أنزل القرآن على رسول الله (ص) فتلاه على أصحابه زمانا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت وقيل: هو تسلية الرسول (ص) عما يفعله به قومه بما فعلت إخوة يوسف عليه السلام به وقيل إنّ اليهود سألوه (ص) أنّ يحدّثهم بأمر يعقوب وولده وشأن يوسف وما انتهى إليه فنزلت، وقيل عن السبب الّذي أحلّ بني إسرائيل بمصر إنّ كفار مكّة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله (ص) فسألوه فنزلت"[2]. ففي سبب نزول هذه السورة الكريمة روايتين:

الأولى أنّها نزلت تسلية وتثبيتا من الله عز وجل للرسول (ص) لما لاقاه من المشركين من ذوي القربى وغيرهم.

[1] إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص 213.

[2] شهاب الدين السيد محمود (الألوسي البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، المجلد السابع، ج 12، ص 232.

والثانية أنّ اليهود سألوا رسول الله (ص) أن يخبرهم عن يعقوب وأولاده ويوسف وما كان من شأنه.

أمّا صاحب كتاب في ظلال القرآن يقول: "وعلى هذا فالسورة واحدة من السور الّتي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرسول (ص) والعصبة المسلمة معه في مكّة"[1]، إذ نزلت هذه السورة الكريمة والرسول (ص) والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون شتى أنواع الأذى من المشركين، وفي هذه المدة بالذّات فقد سنده الّذي طلّ يدافع ويحامي عنه –عمّه أبو طالب– وزوجه الّتي آوته وصدّقته ونصرته –أم المؤمنين خديجة بنت خويلد– فكان الرسول وجمع الصحابة يمرون بظروف جدّ صعبة على جميع الأصعدة، لذلك أنزل الله هذه السورة الكريمة تثبيتا وتسلية له وللجماعة المسلمة من ورائه.

المطلب الخامس: الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف في القرآن

إنّ المعروف عن سمات القصص القرآني ظاهرة التكرار وهو أن تتكرر القصة في أكثر من موقع من القرآن، كما في قصّة موسى عليه السلام وقصة نوح عليه السلام وغيرهم من الأنبياء، ولكن نجد أنّ قصّة يوسف عليه السلام لم تتكرر في أي موقع من القرآن فقد جاءت في موضع واحد، وهنا يطرح السؤال نفسه، ما الحكمة من عدم تكرار قصّة يوسف عليه السلام وسوقها مساقا واحدا في موضع واحد دون غيرها من القصص؟ والحكمة في عدم تكرارها كما يراها بعض علمائنا الأجلاء تتجلى فيما يلي:

تضمنها أخبارا عن حال امرأة ونسوة افتتنّ بأروع الناس جمالا وأرفعهم منالا فناسب عدم تكرار ما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك، لأنّها اختصت بحصول الفرج بعد الشدّة بخلاف غيرها من القصص، فإنّ مآلها إلى الوبال كقصة نوح وهود وقوم صالح عليهم السلام وغيرهم، فلمّا اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمات القصص، في عدم تكرارها إشارة إلى عجز العرب، كان النبي (ص) قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط11، 1405هـ، 1985م، م 4، ص 1949.

تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء[1]. وأقوى ما يجاب به أنّ قصص الأنبياء عليهم السلام إنّما تكرّرت لأنّ المقصود بها إفادة إهلاك من كذّبوا رسلهم وآذوهم، والمواقف الّتي يعيشها النبيّ (ص) تستدعي ذلك التكرير، ذلك لتكرير تكذيب الكفّار لرسول الله (ص) فكلما كذّبوا أنزلت قصّة منذرة بحلول العذاب كما حلّ على المكذّبين، ولهذا قال تعالى: " قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ " (الأنفال: 38) وقال أيضا: " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ " (الأنعام: 6).

وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك[2].

[1] صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، ج01، ص53.

[2] السيوطي (185/2): الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الباب الجلي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1952م.

المبحث الثاني: آليات التضام في سورة يوسف

المطلب الأول: ماهية الحذف

الفرع الأول: تعريف الحذف

أ- الحذف لغة:

ممّا ورد عند ابن منظور فعرّفه بقوله: "حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه والحجّام يحذف الشعر من ذلك والحذافة ما حذف من شيء فطرح، وخص اللحياني به حذافة الأديم الأزهري تحذيف الشعر تطريره وتسويته، وإذا أخذت من نواحيه ما تسوّيه به فقد حذّفته؛ وقال امرؤ القيس: لها جبهة كسراة المجنّ حذّفه الصانع المقتدر وهذا البيت أنشده الجوهري على قوله حذّفه تحذيفا أي هيّأه وصنعه، قال وقال الشاعر يصف فرسا وقال النضر التحذيف في الطرّة أن تجعل سكينية كما تفعل النصارى وأذن حذفاء كأنها حذفت أي قطعت والحذفة القطعة من الثوب وقد احتذفه وحذف رأسه. وفي الصحاح حذف رأسه بالسيف حذفا ضربه فقطع منه قطعة. والحذف: الرمي عن جانب والضرب عن جانب، تقول حذف يحذف حذفا وحذفه حذفا ضربه عن جانب أو رماه عنه وحذفه بالعصا وبالسيف يحذفه حذفا وتحذفه ضربه أو رماه بها"[1].

ب- الحذف اصطلاحا:

نذكر من أهم ما قيل في تعريف الحذف قول الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز ما يلي:

"هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك تري به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن".[2]

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج 03، ص 419.

[2] أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص 104.

كما عرّفه ابن حجة الحموي بقوله[1]: "الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه، لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا".

كقول الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلدًا سيفًا ورمحا (أي معتقلا رمحا)

اما عند قدامة ابن جعفر في كتابه نقد النثر:

"الحذف هو الإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمراده فيه"[2].

الفرع الثاني: أنواع الحذف

للحذف أنواع حيث من بين هاته الأنواع ما يلي:

أ- حذف الاقتطاع:

وهو حذف بعض حروف الكلمة وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن الكريم ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأنّ كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى وادعى بعضهم أنّ الباء في قوله تعالى: "وامسحوا برؤوسكم" (المائدة الآية 6) أوّل كلمة (بعض) ثمّ حذف الباقي، ومنه قراءة بعضهم: "ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك" (الزخرف 77). ولمّ سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم.

همزة أنا في قوله تعالى: "لكنا هو الله ربي" (الكهف 38) إذا الأصل لكن أنا حذفت همزة (أنا) تخفيفا وأدغمت النون في النون[3].

ب- حذف الاكتفاء:

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر ويختص غالبا بالارتباط العاطفي كقوله تعالى: "وسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ " (النحل 81) أي البرد

[1] تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987، ج 02، ص 725.

[2] أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990، ص 69.

[3] مصطفى عبد السلام بوشادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص 33.

وخصص الحرّ بالذكر لأنّ الخطاب للعرب وبلادهم حارّة والوقاية عندهم من الحرّ أهم لأنّه أشد عندهم من البرد وقيل لأنّ البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله تعالى: "ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها" (النحل 80) وفي قوله تعالى: "وجعل لكم من الجبال أكنانا" (النحل 81) وفي قوله تعالى: "والأنعام ذاتها لكم فيها دفء" (النحل 05).

ومن أمثلة هذا النوع قول تعالى: "بيدك الخير" (آل عمران 6) أي الشر وإنّما خصّ الخير بالذكر لأنّه مطلوب العباد ومرغوبهم أو لأنّه أكثر وجودا في العالم أو لأنّ الله إضافة الشر إلى الله ليس من باب الآداب كما قال الرسول (ص) "والشرّ ليس إليك"[1].

ومنها قوله تعالى: "وله ما سكن في الليل والنهار" (الأنعام 13) أي وما تحرك وخص السكون بالذكر لأنّه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولأنّ كل متحرك يصير إلى السكون.

ومنها قوله تعالى: "الّذين يؤمنون بالغيب" (البقرة 03) أي والشهادة لأنّ الإيمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لأنّه امدح ولأنّه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومنها قوله تعالى "ورب المشارق" (الصافات 05) أي والمغارب ومنها قوله تعالى: "هدى للمتقين" (البقرة 1) أي وللكافرين قاله ابن الأنباري ويؤيده قوله تعالى "هدى للناس" (البقرة 184).

ومنها قوله تعالى: "إن امرؤوا هلك ليس له ولد" (النساء 176) أي ولا والد بدليل أنّه أوجب للأخت النصف وإنّما يكون ذلك مع فقد الأب لأنّه يسقطها[2].

جـ- حذف المقابلي (الاحتباك):

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلا فيحذف من واحد منها مقابلة لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: "أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا برئ مما تجرمون" الأصل فإن افتريته فعلي إجرامي وأنتم براء منه وعليكم إجرامكم وأنا برئ مما تجرمون فنسبته قوله

[1] محمد ناصر الدين الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثة "المجاني"، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، ج 02، ص 260.

[2] عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 02، ص 163.

تعالى: "إجرامي" وهو الأوّل إلى قوله: "وعليكم إجرامكم" وهو الثالث نسبة قوله : "وأنتم براء منه" وهو الثاني إلى قوله: "وعليكم اجرامكم" وهو الثالث كنسبة قوله وانتم براء. منه وهو الثاني الي قوله: "وأنا برئ مما تجرمون" وهو الرابع واكتفى من كل متناسبين بأحدهما.

ومنه قوله تعالى: "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون" تقديره: إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتو بآية.

وقوله تعالى: "ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم" تقديره كما قال المفسرون ويعذب المنافقين ان شاء فلا يتوب عليهم او يتوب عليهم فلا يعذبهم "، عند ذلك يكون مطلق قومه، فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا وقوله تعالى: "فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتّى يتطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله" تقديره إلاّ تقربوهن حتّى يطهرن ويطهرن فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن وهو قول مركب من أربعة أجزاء نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه.

واعلم أنّ دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات وبهذا التقدير يعتضد القول بالمنع من وطئ الحائض إلاّ بعد الطهر والتطهر جميعا[1].

د- حذف الاختزال:

عرّفه صاحب البرهان بقوله: "هو الافتعال من خزله قطع وسطه ثمّ نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة وهي إمّا اسم أو فعل أو حرف"[2].

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376هـ، 1957م، ج 03، ص 129.

[2] المرجع نفسه، ص 134.

الفرع الثالث: الجانب التطبيقي للحذف في سورة يوسف

أ- مواطن حذف الحرف في سورة يوسف:

1- قال تعالى: "اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين" آية رقم 9.

قال ابن عطية: ارضا مفعول ثان بإسقاط حرف الجر (في) لأنّ طرح لا يتعدى إلى مفعولين إلاّ كذلك.

وليس أرضا مبهمة حتّى تعرب ظرفا كما زعمت فرقة فقد قيدت بأنّها أرض بعيدة قاصية[1].

وكذلك الأخفش قال في معاني القرآن: أو اطرحوه أرضا وليس الأرض هاهنا بظرف ولكن حذف منها (في) ثم أعمل فيها الفعل كما تقول توجهت مكة[2].

ووافقهما الزجاج في هذا حيث قال: (أرضا) منصوب على إسقاط (في) وإفضاء الفعل إليها لأنّ أرضا ليس من الظروف المبهمة[3].

2- قال تعالى: "واستبقا الباب" آية رقم 25.

قال إلى الباب فالمحذوف هنا حرف جر (إلى)[4].

3- قال تعالى: "يوسف أعرض عن هذا"أية رقم 29.

قال إنّه منادى محذوف منه حرف النداء (يا)[5].

4- قال تعالى: "يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار" آية رقم 39.

[1] نقل بتصرف من تفسير ابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة أولى 1422 هجرية، ج 03، ص 222.

[2] معاني القرآن للزجاج، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 1990م، ج 01، ص 396.

[3] معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1988م، ج 03، ص 93.

[4] تفسير ابن عطية، ج 03، ص 235.

[5] المصدر نفسه، ج 03، ص 237.

قال ابن عطية: وصفه لهما بـ يا صاحبي السجن هو: إما على أن نسبهما بصحبتهما للسجن من حيث سكناه، كما قال تعالى: " أصحاب الجنة" (الأعراف 44)، و "أصحاب الجحيم"(البقرة 119).

إمّا أن يريد صحبتهما له في السجن فأضافهما إلى بذلك كأنّه قال: يا صاحبي في السجن، فنفهم من هذا أنّ (في) محذوفة[1].

5- قال تعالى: "يوسف أيّها الصديق" آية رقم 47، قال ابن عطية: فيها حذف حرف النداء (يا)[2].

6- قال تعالى: "قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف" آية رقم 10، قال ابن عطية المعنى تالله لا تفتأ تذكر يوسف فتحذف لا في هذا الموقع من القسم لدلالة الكلام عليها[3]. وقال الأخفش: فزعموا أن تفتأ (تزال) فلذلك وقعت عليه اليمين كأنهم قالوا: والله ما تزال تذكر يوسف (معاني القرآن للأخفش)[4].

وقال الزجاج: (لا) مضمرة والمعنى: والله لا تفتأ تذكر يوسف أي لا تزال تذكر يوسف[5]، (ثم قال) وإنّما جاز إضمار (لا) في قوله تعالى: "تفتأ تذكر يوسف" لأنّه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتّى تقول: لتفعلن أو لا تفعل.

7- قال تعالى: "فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة" آية 101، قال: فاطر منادى حذف منه حرف النداء (يا)[6].

8- قال تعالى: "أيتها العير إنكم لسارقون" آية رقم 70، قال الزجاج المعنى يأ أيّها أصحاب العير ولكن قال: أيتها العير وهو يريد أهل العير كما قال تعالى: "واسأل القرية"

[1] المصدر السابق، ج 03، ص 245.

[2] تفسير ابن عطية، ج 03، ص 249.

[3] المصدر نفسه، ج 03، ص 272.

[4] المصدر نفسه، ج 01، ص 399.

[5] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1988، ج 03، ص 129.

[6] ابن عطية، ج 03، ص 283.

إذن نفهم أنّه يريد أنّه قد حذف منها حرف النداء[1].

ب- مواطن حذف كلمة واحدة في سورة يوسف:

1- قال تعالى: "فصبر جميل" آية رقم 18، قال ابن عطية: رفع إما على حذف المبتدأ فالتقدير: فشاني صبر جميل، وإمّا على حذف الخبر والتقدير: فصبر جميل مثل[2] وقال الزجاج: مرفوع على ضربين:

- فشاني صبر جميل.

- فصبر صبر جميل وهذا لفظ قطرب: فصبر يصير جميل والأوّل مذهب الخليل وجميع أصحابه[3].

2- قال تعالى: "إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان" آية رقم 40، قال ابن عطية: ذهب بعض المتكلمين إلى أنّه أوقع في هذه الآية الأسماء على المسميات وعبر عنها بها إذ هي ذوات الأسماء ثم قال أبو محمد والاسم قد يجري في اللغة مجرى النفس والذات والعين فإن حملت الآية على ذلك صحّ المعنى وليس الاسم على هذا بمنزلة التسمية الّتي هي رجل وحجر وإن يريد بهذه الأسماء الّتي في الآية أسماء الأصنام الّتي بمنزلة اللات والعزّى من تسميتها آلهة فيحتمل أن يريد: إلاّ ذوات أسماء وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[4].

3- قال تعالى: "ولدار الآخرة" آية رقم 109، قال ابن عطية: قال البصريون: هذه على حذف مضاف وتقديره: ولدر الحياة الآخرة أو المدة الأخيرة[5]، فهذا يعني حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج 03، ص 120.

[2] ابن عطية، ج 03، ص 246.

[3] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج 03، ص 227-228.

[4] ابن عطية، ج 03، ص 246.

[5] المصدر نفسه، ج 03، ص 287.

4- ذكر ابن عطية قراءة ثانية لكلمة تصديق آية رقم 111، حيث قرأها عيسى الثقفي بالرفع (تصديق) أي برفع القاف وكذلك ما عطف عليها كقوله وتفصيل وهدى ورحمة ثم قال وهذا على حذف المبتدأ أو التقدير.

هو تصديق، وقال أبو حاتم: النصب على تقدير: ولكن كان والرفع على ولكن هو ثم بيت ذي الرمة: وما كان مالي من تراث ورثته ولا دية كانت ولا كسي مأتم ولكن عطاء الله من كل رحلة إلى كل محجوب السرادق خضرم.

رفع عطاء والنصب أجود[1]، وقال: لكن هو تصديق الّذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة فحذف المبتدأ وبقي الخبر.

5- قال تعالى: "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه" آية رقم 35، قال ابن عطية: وبدا معناه والفاعل بدا محذوف تقديره: بدوا ورأي بضمنين ثم قال ولا يجوز أن يكون الفاعل ل بدا (ليسجننه) لأنّ الفاعل لا يكون جملة بوجه، ذا صريح مذهب سيبويه وقيل: الفاعل ليسجننه وهذا خطأ وإنّما هو مفسر للفاعل[2]، وقال الزجاج في قوله تعالى: "ثم بدا لهم" بدا فعل استغنى عن فاعل[3].

6- قال تعالى: "إن هي إلاّ اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم" آية رقم 40، قال ابن عطية ومفعول سميتم الثاني محذوف تقديره: آلهة. هذا على أن الأسماء يراد بها ذوات الأصنام[4].

7- قال تعالى: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم" آية رقم 92، قال ابن عطية اليوم ظرف فعلي هذا فالفاعل فيه ما يتعلق به عليكم تقديره لا تثريب ثابت، ومستقر عليكم اليوم ثم قال وقد وقف بعض القرّاء على (عليكم) وابتدأ اليوم يغفر الله لكم بينما وقف أكثرهم على

[1] ابن عطية، ج 03، ص 289.
[2] المصدر نفسه، ج 03، ص 242.
[3] معاني القرآن، ج 03، ص 104.
[4] المصدر نفسه، ج 03، ص 246.

اليوم وبدا يغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن إسحاق والطبري وهو الصحيح وهذا الوقف أرجح في المعنى[1].

جـ- مواطن حذف جملة في سورة يوسف:

1- قال تعالى: "إذ قال يوسف لأبيه يا أبت" آية رقم 4، قال ابن عطية: العامل في (إذ) فعل ضمير تقديره: أذكر إذ قال يوسف[2].

2- قال تعالى: "فلما ذهبوا به" آية رقم 15، قال ابن عطية وجواب (لما) محذوف تقديره: فلما ذهبوا به وأجمعوا أجمعوا قال: هذا مذهب الخليل وسيبويه وهو نص لهما في قول امرئ القيس: فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا[3].

3- قال تعالى: "فصبرا جميل" آية رقم 18، قال ابن عطية: إن الأشهب وعيسى بن عمر قرئا بالنصب وذلك على إضمار فعل، وكذلك هي في مصحف أبي ومصحف أنس بن مالك وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ، ولا يصلح النصب في مثل هذا إلا مع الأمر، ولذلك يحسن النصب في قول الشاعر:

شكا إلي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال وينشد البيت بالرفع[4].

4- قال تعالى: " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ " آية رقم 103-105، قال ابن عطية: وقرأ السدي و(الأرض) بفتح الضاد بإضمار فعل، والوقف على هذا في السماوات[5].

[1] ابن عطية، ج 03، ص 278.

[2] المصدر السابق، ج 03، ص 219.

[3] ابن عطية، ج 03، ص 225.

[4] المصدر نفسه، ج 03، ص 227-228.

[5] المصدر نفسه، ج 03، ص 215.

5- قال تعالى: " قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" آية رقم 108، قال ابن عطية: وسبحان الله تنزيه لله والتقدير: وقل سبحان الله، إذن نفهم أنّ في هذه الآية حذفا هو (قل)[1].

6- قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" آية رقم 111، قال ابن عطية نصب تصديق إمّا على إضمار معنى كان وإمّا على أن تكون لكن بمعنى لكن المشدد والّذي يعيننا أن تكون على إضمار معنى وبذا يكون المحذوف جملة فعلية (كان واسمها)[2].

7- قال تعالى: "الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ" آية رقم 111، قال ابن عطية هو التوراة والإنجيل والضمير في يديه عائد على القرآن وهو اسم كان أي الّذي كان بين يديه[3].

د- مواطن الحذف أكثر من جملة في سورة يوسف:

1- قال تعالى: " وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ" آية رقم 19، قال ابن عطية: ففي (أدلى دلوه) أي بعد هذه الآية: وفي الكلام هنا حذف تقديره: فتعلق يوسف بالحبل فلما بهر به المدلي قال يا بشراي فالحذف هنا أكثر من جملة وذكر أن يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجح لفظة غلام فإنّه ما بين الحولين إلى البلوغ وقيل كان ابن سبع عشرة سنة وهذا بعيد[4].

2- قال تعالى: " فَأَرْسِلُونِ) ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا" آية 45، 46.

قال ابن عطية في (فأرسلون) إستأذان في المضي ثم قال: وقيل كأن السجن في غير مدينة الملك قاله ابن عباس- وقيل كأن فيها والذي ارجحه أن السجن كان في غير مدينة الملك مما يحتاج إلى أن يرسل إليه رسول يتكبد مشاق السفر ورهق الطريق وخوف الغوائل،

[1] المصدر نفسه، ج 03، ص 216.

[2] ابن عطية، ج03، ص 219.

[3] المصدر نفسه، ج 03، ص 219.

[4] المصدر نفسه، ج 03، ص 228.

ومما يؤكد بأن السجن كان في غير مدينة الملك أنه لو كان فيها لغم والحق بالمعبرين الذين كانوا معه فلما أظهروا عجزهم فكر الملك ومن معه بتذكر الرسول أن يوسف خير من يعبر هذه الرؤيا لأنه قد خبره قبل ذلك وخبر صدقه وهذا مما يسوغ الحذف الكثير الموجود في الآية الكريمة".[1]

3- قال تعالى: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" آية رقم 50.

قال ابن عطية: في تضاعيف هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها والمعني هنا فرجع الرسول الي الملك والملا فقص عليهم مقالة يوسف فرأي الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الرأي مع ما وصفه الرسول من الصدق في المنامة المتقدمة فعظم يوسف في نفس الملك وقال: أئتوني به فلما وصل الرسول في إخراجه إليه وقال أن الملك قد أمر بأن تخرج قال له: ارجع إلى ربك أي الملك وقل له ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن".[2]

4- قال تعالى: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ" آية رقم 99

قال ابن عطية: ها هنا محذوفات يدل عليها الظاهر وهي:

فرحل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى بلغوا يوسف فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه. نفهم من هذا بأن الحذف حذف جمل بكاملها وقد ذكر المفسرون بأن عدد آل يعقوب كأن ثمانين نسمة وقيل ستة وسبعين نفسا بين رجال ونساء.[3]

وفي نظري أن هذا العدد من الناس يحتاجون في سفرهم ورحلتهم إلى زمن وإلى زادوا وأحل لحمل الناس والأمتعة مما يقوي ويعضد القول بأن هناك محذوفات كثيرة.[4]

5- قال تعالى: " وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ" آية رقم 59 قال الزجاج: وهذا والله أعلم قد كان قبله، كلام

[1] المصدر السابق، ج 3، ص 249.

[2] المصدر نفسه، ج 03، ص 251، 252.

[3] المصدر نفسه، ج03، ص 278.

[4] المصدر نفسه، ج 03، ص 281.

جر إليه ما يوجب طلب أخيهم منهم لأنه لا يقول: ائتوني بأخ لكم من غير أن يجري ما يوجب هذا القول فكأنه. والله اعلم سألهم عن أخبارهم وأمرهم وعددهم فاجترا القول هذه المسألة.[1]

المطلب الثاني: ماهية الالتفات

الفرع الأول: تعريف الالتفات

أ- الالتفات لغة:

الالتفات من مادة (ل ف ت، وفي هذه المادة تقول المعاجم):

"لفت وجهه عن القوم: صرفه، وتلفت إلى الشيء، التفت إليه: صرف وجهه إليه ولفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه، فاللفت هو الصرف، يقال ما لفتك عن فلان أي ما صرفك عنه. واللافت: لواه عن رأيه، وقيل اليّ الشيء هو أن ترمي به إلى جانبك، والحاء عن الشجر: قشره والريشعلي السهم: وضعه غير متلائم. ويقال لفت الرجل بكسر الفاء لفتًا: حمقا، وعمل بشماله دون يمينه، والتيس: أحوج قرناه، واللفتاء الحولاء، واللفوت من النساء: كثير التلفت...."[2].

ب- إصطلاحا:

"الإلتفات في إصطلاح البلاغيين هوالتحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر"[3]، أي نقل الكلام من أُسلُوبِ إلى آخر، من التكلم إلى الخطاب، أو من الخطاب إلى الغيبة إلى غير ذلك.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج 03، ص 116.

[2] ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، مادة (ل ف ت).

الفيروز أبادي، قاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، مادة (ل ف ت).

[3] الميداني(عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني)، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، دار القلم، دمشق، 1996، الطبعة الأولى، ج 01، ص 479.

والملاحظ هنا أن التعريف الاصطلاحي لا يخرج عن التعريف اللغوي، فالالتفات يدور معناه حول الانصراف والتحول.

الفرع الثاني: أقسامه مع التطبيق

أ- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة يوسف:

قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[1]

الالتفات إلى قوله تعالى أفلا تعقلون وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا" وكان مقتضى السياق –أفلا يعقلون- تمشيا مع سابقه ولكن وجود هذا الخطاب أحدث هزّة نفسية للمؤمنين الواقفين على الآية زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم الساعة فالخطاب هو الأدعى لأسلوب الدعوة إلى الله (والتحذير مما وقع فيه أولئك الأقوام فيصيبهم ما أصابهم".[2]

ب- الالتفات من التكلم إلى الغيبة في سورة يوسف

جاء في سورة يوسف قول الله تعالى:

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".[3]

الإلتفات في قوله تعالى:" ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" بصيغة الغيبة عن الله عز وجل وهذه الغيبة بعد أسلوب التكلم في قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" وكان حق الصياغة مسايرة الأسلوب نفسه بقوله –وإنا غالبون- أو نحو ذلك ولكن أين هذا من وقوله

[1] سورة يوسف، الآية 109.

[2] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي تفسير بحر المحيط،مجلد الخامس (654هـ، 754هـ)، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 254.

[3] سورة يوسف، الآية 21.

تعالى: " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" فهو سبحانه مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه[1]، لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد بل إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون[2] فعال لما يريد[3] لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه[4] فانتظام أمر يوسف عليه السلام كان إلهيا وما كان بسعيه وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه والله أراد به الخير فكان كما أراد الله تعالى ودبر وأي ضمير يفي هذه المعاني حقها غير لفظ الجلالة الجامع لإسمائه تعالى وصفاته ولهدا كان الالتفات إلى الغيبة لظهور هذا الاسم الجليل ليعظم ما أعظم ويوضح ما وضح، ويزيد المقام مصابة وتقدير لما في هذا اللفظ الشريف من قوة في اللفظ بجانب قوة المعنى.

كذلك قوله تعالى: " فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ".[5]

الالتفات في قوله تعالى " إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ" بصيغة الغيبة عنه جل جلاله بعد صيغة التكلم في قوله عز وجل كذلك كدنا، وكان حق السياق –إلا أن نشاء– بدل قوله تعالى إلا أن يشاء الله (أي إلا حال مشيئته وإذنه بذلك وإرادته وهي تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف أو تفسير له).[6]

---

[1] أبي جعفر محمد ابن جليل الطبري المتوفي سنة 210هـ، جامع البيان الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير، المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (1406هـ/1986)، ج 07، ص 12، 105.

[2] شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثانى، دار الإحياء والتراث، بيروت، دط، دت، ج 04، ص 12، 208.

[3] تفسير ابن كثير أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 02، ص 474.

[4] تفسير ابن كثير، المرجع نفسه، ص 110.

[5] سورة يوسف، الآية 76.

[6] محمد ابن علي ابن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج 02، ص 42.

يعني: أن ذلك الأمر كان بمشيئته الله تدبيره، لأن ذلك كله كان إلها ما من الله ليوسف وإخوته حتى جرى الأمر وفق المراد.[1]

حدث ابن جرير عن مجاهد: إلا بعلة كادها الله فعتل بها يوسف.[2]

فالالتفات إلى صيغة الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وجل مقدار علمه المحيط مالا يخفي فحق لهذه المشيئة ما لا يحصى عدا من المهابة والاجلال . وهكذا أعطى هذا الالتفات إلى الغيبة المعنى قدرا رفيعا من بلاغة القول ودقته وتناسبه للمقام.

ج- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومن الالتفات من الغيبة إلى التكلم في سورة يوسف قوله تعالى: " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ".[3]

وذلك بعد قوله تعالى: " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".[4]

موضع الالتفات في قوله تعالى: "آتيناه" وكذا في قوله تعالى: "نجزي" بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في الآية التي سبقت هذا وهي وقوله تعالى: "الله غالب على أمره" وكان مقتضى السياق –ولما بلغ أشده آتاه الله حكما وعلما- بدل (آتيناه) ولكن من الملاحظ مع كثير من مواضع العطاء والهبة يظهر ضمير التكلم أو كما يسمى نون العظمة ليعبر عن تعظيم شأن المعطي والمعطى له ولذلك نوع من العطاء قال الزمخشري وعن الحسن: (من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله)[5]جزاءً على صلاحه وتقواه وزيادة

[1] محمد جمال الدين القاسمي، تفسير كتاب القاسمي المسمى محاسن التأويل، الطبعة الثانية، ج09، ص 260.

[2] المرجع السابق، جامع البيان، ج 07، ص 12، 18.

[3] سورة يوسف، الآية 22.

[4] سورة يوسف، الآية 21.

[5] أبي قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467هـ، 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، التحقيق: حققه وخرج أحاديثه عبد الرزاق المهدي، بيروت، الطبعة الثانية، 1421هـ/2001، ج02، ص 210.

تفضل من الكريم المنان وقد وهب يوسف عليه السلام أعظم هبة يهبها عباده الأخيار ألا وهي (النبوة) أنه حباه بها بين أولئك الأقوام).[1]

وقال ابن عطية: (يحتمل أن يريد الحكمة والنبوة وهذا الاشتداد الأعلى، ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوة (وعلما) يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك ويحتمل أن يريد بقوله (حكما): أي سلطانا في الدنيا وحكما بين الناس بالحق وتدخل النبوة وتأويل الأحاديث وخير ذلك)[2] وأياما كان: لك في وعطاء جزيل من لدن وهاب كريم يستحق تلك الوقفة بذلك الالتفات الجميل.

قوله تعالى: " وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ".[3]

الالتفات في قوله تعالى: "لما علمناه" في ضمير التكلم وذلك في قوله تعالى: " كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ" بضمير الغيبة في لفظ الجلالة. وكان مقتضى السياق أن تأتي الآية كالتالي –لما علمه الله– جريا على منهاج سابقه ولكنه آثر سبحانه وتعالى ضمير التكلم في: (علمناه) لحكمة قال فيها الثعالبي: مدح الله تعالى يعقوب عليه السلام في كتابه فقال "وإنه لذو علم علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون" لأن عمل الأسباب واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الأمر كله لله تعالى واستسلم إليه وهو حقيقة التوحيد فقال "وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله" الآية فأثنى الله تعالى عليه من أجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين[4]، وكان ثناؤه بتلك النون التي تدخل على العظمة إن الله وهب إلى بنيه يعقوب علما عظيم الشأن وقد حفظه عليه الصلاة والسلام وعمل به [5]

[1] المصدر نفسه، تفسير ابن كثير، ج 02، ص 474.

[2] المصدر السابق، تفسير ابن عطية، ج 02، ص 220.

[3] سورة يوسف، الآية 68.

[4] الثعالبي عبد الرحمان ابن مخلوف الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج 02، ص 247.

[5] المرجع نفسه، تفسير ابن كثير، ج 02، ص 485.

على أكمل وجه ويكفي أن يكون المقام مقام تعظيم وقد اسند هذا العلم لله سبحانه وتعالى بهذا الضمير الذي يدل على التعظيم فهو (علم جليل لتعليمنا إياه بالوحي).[1]

المطلب الثالث: ماهية التكرار

الفرع الأول: تعريف التكرار

أ- التكرار لغة:

أخذت كلمة تكرار من أصل المادة (كرر)، والكر يتعدي، والكر: مصدر كر عليه يكر كرا وكرورا، وكر عنه: رجع، وكرا الشيء وكركره: أعاده مرّة بعد أخرى.

(وقال أبو سعيد الفرير: قلت لأبي عمر: ما بين تَفعال وتِفعال فقال: تَفعال اسم، وتِفعال مصدر).[2]

ب- إصطلاحا:

يعرف الجرجراني التكرار في كتابه 'التعريفات' "عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد الأخرى".[3]

غير أننا نجد الإمام السيوطي قد ربط التكرار بمحاسن الفصاحة، كونه مرتبط بالأسلوب وهذا ما ورد في كتابه الإتقان وذلك بقوله: "هو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة".[4]

الفرع الثاني: التكرار في علم اللغة الحديث

يقصد به توظيف لفظتين درجهما واحد فهو بهذا يعد ضربا من ضروب الإحالة القبلية بمعنى أن الثانية منها تحيل إلى الأولى ومن ثم يحدث السبك بينهما، وهكذا يحصل –بين

---

[1] المرجع نفسه، تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، ج 09، ص 251.

[2] ينظر: ابن منظور لسان العرب، ج 5، ص 3851.

[3] القاضي الجرجاني: التعريفات، ت نصر الدين التونسي، شركة القدس للتدوير، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007، ص 113.

[4] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1988، ص 199.

الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار – السبك.[1]

ولتوضيح هذا أورد جميل عبد المجيد – في كتابه البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية– مثالا لها لهليداي ورقية حسن اغسل وانزع نوي ست تفاحات، ضعها في صحن مقاوم للنار.

فلضمير(ها) في الجملة الثانية يحيل إلى 'ست تفاحات) في الجملة الأولى، كما أنه لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه ومن ثم ترتبط الجملة الثانية بالأولى، مما يجعل هاتين الجملتين تشكلان نصا، أو على أقل تقدير –جزءا من نص واحد.

أنظر كيف قام الضمير (ها) بالإحالة إلى سابق وانظر كيف قامت (الإحالة) بسبك الجملتين، إذا اتضح لك ذلك، فلك أن تنظر إلى تكرار الوحدات المعجمية وهو يقوم مقام الإحالة القبلية وذلك كالتالي:

– اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضع التفاحات في صحن مقاوم للنار.

فلقد تمت الإحالة هنا من سبيل تكرار لفظ (لتفاحات)، وبهذا يصبح التكرار المعجمي وسيلة من وسائل السبك وبهذا التكرار أنها أنماط عديدة، "وقد جعل علماء النص لُغةِ النّصِ هذا التكرار– تبعا لهليداي ورقية حسن– في أربع درجات.[2]

يأتي بالدرجة الأولى إعادة عنصر معجمي في أعلى السلم ويليه الترادف او (شبه الترادف) ثم الاسم الشامل وفي أسفل السلم تأتي الكلمات العامة.

ولتوضيح ذلك هاليدي مع ورقية حسن اجتهدا في هذه الوسيلة (التكرار المعجمي) وخرجا بنتيجة مفادها أن هذه الوسيلة هي سلم مكون من أربع درجات من حيث تفاوت قوة الربط ويمثل لها نزولا كالآتي:

[1] ينظر: جميل البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة، للكتاب (دط)، مصر، 1992، ص 79.

[2] زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي من الشعر والنثر، دار جرير، عمان، الطبعة الأولى، 2010، ص 54.

الدرجة الأولى: إعادة عنصر معجمي

اللفظة الثانية تساوي اللفظة الأولى، في المعنى والمبنى، وسمي هذا التكرار المحض (الخالص) وهو كما رأينا في المثال السابق وكما سنوضحه أكثر بمثال آخر لها هاليداي ورقية حسن:

– شرعت في الصعود إلى القمة، الصعود سهل للغاية.

لفظة (الصعود) الثانية هي إعادة عنصر معجمي، هذا العنصر المعجمي يتشكل بلفظة (العود) الأولى وهما تتساويان في المعنى والمبنى هذا على سبيل التكرار المحض.

أما على سبيل التكرار الجزئي: فقد يتكرر العنصر المعجمي لكن مع شيء من التغيير في الصيغة[1]، أي أن اللفظة الثانية تتلاقى مع اللفظة الأولى في أصل الاشتقاق (المصدر) أو (المادة المعجمية) وبيان ذلك المثال الآتي:

– شرعت في الصعود إلى القمة، الصاعدون كثيرون جدّا.

التقت لفظة (الصاعدون) مع لفظة (الصعود)، في (الصعود) نفسها لأنها المصدر الذي اشتقت منه لفظة (الصاعدون) أو تقول أن (الصاعدون) تلتقي مع (الصعود) في مادة (ص،ع،د) المعجمية.

الدرجة الثانية الترادف أو شبه الترادف

الكلمة الثانية تكون مرادفا للفظة الأولى ولقد ضرب الباحثان هاليداي ورقية حسن مثالا عن الترادف دون شبه الترادف.

– شرعت في الصعود إلى القمة، التسلق سهل للغاية.

انظر كيف تكرر معنى (الصعود) دون لفظة، وهذا هو الترادف الذي يعني تكرار المعنى دون اللفظ.[2]

فضلا عن الترادف، فلقد استدرك الباحثان ماري والمنجي حمودة على الباحثين هاليداي ورقية حسن التمثيل لشبه الترادف وذلك خلال فقرتين من قصة "سندباد ووادي أَلماسْ":

[1] ينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 80، 82.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

الفقرة الأولى: "ثم لاحظت أن الوادي كله مضاء بضوء ناعم متلألئ وهو ضوء الشمس (...) وكانت هناك –أيضا– حيات قاتلة تزحف حولها، (...) وأدركت –حينئذ– أنني أنا سندباد أتيت إلى وادي ألماس الشهير، الذي لم يخرج أحد منه حيا–.

الفقرة الثانية: كنت أشعر بالخوف، ولكن عندما أشرقت الشمس تحركت هذه المخلوقات الشريرة نحو جحورها المظلمة، (...) ووجدت أخيرا كهفا صغيرا وعند الفجر بدأت هذه المخلوقات في الابتعاد إلى أماكن إختفائها (...)، وخرجت مرة ثانية إلى الوادي المضاء بضوء الشمس.[1]

ولك بهذا المثال أن تميز الترادف من شبه الترادف. جرى وقد حدث – بين التركيب الوصفي (أماكن إختفائها) وبين لفظة (كهفا)، إذن فشبيه الترادف يشبه من حيث هو أيضا تكرار المعنى دون اللفظ ويختلف شبه الترادف –بأنه تركيب يحيل إلى لفضة– عن الترادف كونه كلمة تحيل إلى لفظة شريطة التَّغَاير.

الدرجة الثالثة: الاسم الشامل

اللفظة الثانية تشمل اللفظة الأولى هذه الثانية تعد أساسا مشتركا، وهي عبارة عن اسم يحمل أساسا ومن ثم يكون شاملا لها[2]، من مثال هاليداي ورقية حسن نقرأ:

– شرعت في الصعود إلى القمة، العمل سهل للغاية.

لفظة (العمل) اسم شامل لعدة أسماء منها (الصعود والنزول والقراءة والكتابة والتحرك والتحري و...)والقائمة مفتوحة، هذه وأخرى تشترك في كون كل منها (عملا) إذن فهو الأساس المشترك (قائمة الأعمال التي يشملها بالأساس).

الدرجة الرابعة: الكلمات العامة

الكلمة الثانية تعم اللفظة الأولى، الكلمة العامة يكون فيها من العموم والتوسيع ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل[3]، ويمثل لها به:

---

[1] ينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص 83.

– شرعت في الصعود إلى القمة، الشيء سهل للغاية.

كما هو معلوم أن أنكر النكرات هي كلمة (الشيء) تعني أيَّ شيء وتضم كلَّ شيء ولفظة (الصعود) هي عملُ شيءٍ ألا وهو عمل الصعود، إذن فالصعود شيء من الأشياء ومن ثم تدخل لفظة (الصعود) في عموم أنكرِ النّكرات.

الفرع الثالث: الجانب التطبيقي للتكرار في سورة يوسف

مواضع التكرار في سورة يوسف:

قال سبحانه "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ"

بدأت السورة بتكرير الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن الأخرى ويظهر تكرير الحروف المقطعة –بصفتها حروفا منها تكون القرآن الكريم– الترابط بين سور القرآن وآياته مع اعتبار التفسير الذي يرى أن هذه الحروف إشارة للحروف التي يتكون منها القرآن الكريم وإن ذكر بعضها دون الآخر وأما أهل العربية اختلفوا في ذلك فقال بعضهم هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفا – بذكر (أ، ب، ت ث) عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين: قال ولذلك رفع)ذلك الكتاب) لأن معنى الكلام =الألف واللام والميم من الحروف المقطعة ذلك الكتاب الذي أنزلته إليك مجموعا لا ريب فيه[1]

وفي تيسير التفسير أن الرأي الأشهر الذي اختاره المحققون فهو أنها حروف أنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف وفي متناول المخاطبين به من العرب فهو يتحداهم أن يصوغوا من تلك الحروف مثله وهم أمراء الكلام واللغة لغتهم هم.[2]

– تكرر العنصر الإشاري قوله تعالى "آيات الكتاب" مع حروف أخرى في مواضع أخرى من القرآن الكريم نحو قوله تعالى: "طسم تلك آيات المبين"[3] وقوله تعالى "طسم تلك

[1] أبو جعفر محمد بن جرير (224–300هـ)، تفسير الطبري، ج01، ص 209.

[2] القطان إبراهيم 1402هـ/1982 تسيير التفسير راجعه وضبطه عمران أحمد أبو حجلة، عمان، الطبعة الأولى، ص 52.

[3] سورة الشعراء، آية 1، 2.

آيات الكتاب المبين"[1] وقوله تعالى "المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون".[2]

(الر) وأخواتها من حروف المعجم أي تلك الحروف المفتتحة بها السور هي (آيات الكتاب) لأن الكتاب بها يتلى وألفاظه إليها ترجع[3] وذكر ابن عاشور في تفسيره للآية (الم ذلك الكتاب).[4]

وقد تكررت الحروف (ألر) مع آيات الكتاب في غير سورة نحو قوله تعالى "الر تلك آيات الكتاب الحكيم"[5] وتكررت الحروف (ألر) باجتماع ذكر آيات الكتاب والقرآن الكريم بالوصل بأداة العطف الواو وفي موطن آخر من القرآن في قوله تعالى "ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين"[6] وفي سورة الحجر الآية الأولى فآيات الكتاب والقرآن اسمان لمسمى واحد إلا من الذكر بالتفصيل لمكونات الكتاب بدلالة الإحالة على آيات القرآن الكريم ثم عطف الكتاب على آيات القرآن في موضع آخر قال تعالى "طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين"[7] وأحيل على الكتاب الكريم باسم الإشارة (ذلك) من دون ذكر الآيات قال تعالى "ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين".[8]

وفي اللغة اسم الإشارة (تلك) للبعيد أي أن (ألر) وأمثالها من الحروف الأخرى تكونت منها آيات الكتاب الكريم فلم تنحصر الدلالة الإحالية على الآيات القريبة في سورة يوسف ومن مجموع الآيات تكون نص القرآن المبين "إن أنزلناه قرءانًا عربيا لعلكم تعقلون"[9]

---

[1] سورة القصص، آية 1، 2.

[2] سورة الرعد، آية 1.

[3] الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ج 01، ص 21.

[4] سورة البقرة، آية 1، 2.

[5] سورة يونس، آية 1.

[6] سورة الحجر، آية 1.

[7] سورة النمل، آية 1.

[8] سورة البقرة، آية 1، 2.

[9] سورة يوسف، آية 1.

تتكون الآية الجملة النصية من جملتين وأربعة تراكيب نحوية (أن) و(أنزلناه) و(لعلكم) و(تعقلون) وتضم الوحدة الإحالية الرئيسية خمسة عناصر إحالية وكلها إحلات مقامية وهي ضمير المتكلم المتصل (نا) في قوله تعالى "غنا أنزلناه" إذ يحيل الضمير على الذات الالاهية منتج نص القرآن الكريم وذلك يؤدي إلى تعزيز الترابط بين نص سورة يوسف وبقية نص القرآن التي مصدرها منتج واحد هو الله عز وجل عامل الإحالة الرئيسي في النص فهو منتج فكرة نص القرآن الكريم وهي دين الإسلام، وضمير الغائب (الهاء) في قوله تعالى (أنزلناه) في محل نصب مفعول به يحيل على القرآن الكريم الذي فيه قصة يوسف وليس من تسمية بعض القرآن قرآنا كما أورد "الزمخشري" وسمى بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه"[1] فهذه الإحالة دليل إحالي آخر على أن السورة موضوع نصي من نص عام إذ يحيل الضمير على عموم القرآن وتعززه صفة العربية للعموم القرآن أيضا وضمير المخاطب كم اسم لعل في (لعلكم) والواو فاعل (تعقلون) إحالات مقامية ونصية (إحالة مشتركة) إذ تحيل على عناصر إشارية خارج وداخل نص القرآن الكريم وتحيل على عموم نص القرآن الكريم وتحيل على عموم المرسل إليهم وهذه الإحالات حين تعود على عناصر إشارية بعينها في عموم نص القرآن تكون نصية وإذا عادت على عناصر إشارية خارج النص تكون مقامية.

وإذا عادت على النوعين معا فهي إحالة مشتركة بين لفظ القرآن في هذه الأية ولفظ آيات الكتاب في الآية السابقة تضام فالآيات مكون القرآن التفصيلي والعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل.

" إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين".[2]

تعد هذه الآية الجملة النصية التوليدية الرئيسية للقصة فمن مضمونها وعبرها أو تفسيرها على أرض الواقع تولدت معظم الجمل النصية في القصة.

[1] الزمخشري الكشاف، ج 2، ص 441.

[2] سورة يوسف، آية 4.

تبدأ الآية الكريمة إتساقا بالإحالة المقامية ظرف زمان (إذ) فقط ارتبط الظرف بأحسن القصص الوارد في الآية السابقة ويعرب بدل إشمال من أحسن القصص[1] وبهذا تبدأ القصة يوسف ليدخل المتلقي إلى القصة إذ تنقل أحداث الماضي إلى حاضر المتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويكون يوسف عليه السلام أكثر العناصر الإشارية وورودا في القصة كمرجع إشاري فهو مدار أكثر الإحالات ويظهر الأب والأخوة كعناصر إشارية أحالت الآية على يوسف وذلك بضمير المتكلم الياء في (أبت) والياء هنا محذوفة عوض عنها بالتاء وأحال ضمير المتكلم الياء في (إنّي، لي) والتاء في (رأيتُ، رأيتُهم). وهو في الأول رابط لجملة الخبر وفي الثانية فاعل رأي –وضمير الغائب الهاء في (لأبيه) المجرور وكلها أحالت على يوسف عليه السلام إذ نجد المجموعة الإحالية المكونة من ستة عناصر إحالية تحيل نصيا على المرجع الإشاري سيدنا يوسف فهو أهم عنصر إشاري في القصة وفي هذه الجملة (الآية) لأنه محور الدلالة فيها وفي الآية إحالة نصية على إخوة يوسف وأبويه في (رأيتُهم) بضمير الغيبة (هم) رابط جملة الحال فالآية تجمع العناصر الإشارية الرئيسية في القصة تكرر الفعل رأيتُ والرؤيا عنصر إشاري مهم في النص فهي قائد أساسي لخيوط هذه القصة ويرى الزمخشري أنها كلام مستأنف على تقدير جواب يوسف.

يوسف ليعقوب عن سؤاله عن كيفية الرؤيا[2]، وجاز أن تكون تكريرا للتوكيد لطول الفصل بين المفاعيل.[3]

ويبرز دور الفهم البلاغي للمعاني بحيث يسهم في ترابط النص فسجود الشمس والقمر ناحية بلاغية إذا أدى الفهم البلاغي لذلك إلى فهم الدلالة في التركيب النحوي وانسجامه داخل النص.

---

[1] الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه مج 04، (الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر)، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ص 450.

[2] الزمخشري الكشاف، ج 2، ص 444.

[3] الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج 04، ص 451.

" وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ"[1] عملت الإحالات بالضمائر في و(جاءوا أباهم يبكون) على الترابط النصي مع الآية السابقة وما سبقها فالضمائر تحيل على العناصر الإشارية إخوة يوسف وقام الوصل الإضافي باستخدام واو العطف بربط الآية مع سابقتها وإذا كانت الواو للإستئناف من فعل (جاءوا) ومن خلال التضام ارتبط مع الفعل ذهبوا فما بعد الذهاب إلا العودة بلفظ جاؤوا وهنا يبرز دور الاتساق المعجمي من خلال (التضام) ليربط الجملتين معا داخل النص فقد ربط بين الآيتين قوله تعالى: "لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُون" قوله تعالى: " وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ".

ونلحظ الظرف عشاء كنوع من موجهات النص حيث حدد الفترة الزمنية كعنصر من عناصر النص وحدد وقت المجيء بحال البكاء مما أعطى للنص حيوية فالنص من دون الموجهات هياكل جامدة غير محدد المعالم أو الوجهة الدلالية فالمجيء عشاء غير المجيء ظهرا فادعائهم أكل الذئب ليوسف يتطلب التأخير ليوهموا أباهم بالتأخير بحثا عنه أو حتى لا يتفحص أبوهم القميص أو أنها عودتهم المعتادة في هذا الوقت وبالتالي يكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة.[2]

فمجيء الظرف هنا له أهميته الدلالية في النص.

ومن التكرار التام:

قوله تعالى: "وجاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ"[3]

بدأت الآية بالوصل الإضافي[4] إذ ربط الآية مع السابقة ويتكرر الفعل جاءوا دلا على الترابط بين الآيات تأكيدا أو تبيانا لحدث المجيء وأهميته في أحداث القصة لما فيه من

1 سورة يوسف، آية 16.

[2] المرجع نفسه، ص 461.

[3] سورة يوسف، آية 18.

[4] المرجع السابق، ص 462.

الأعذار التي تحمل عدم صحة دعواهم والتكرار هنا من النوع التام" وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" ويظهر دور القميص كعنصر إشاري معجمي ويكرر الفعل قال مرة ثانية في الآية "قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا" ويظهر دور حرف الإضراب (بل) من أدوات الوصل العكسي في ترابط أجزاء النص فقد أضرب يعقوب عليه السلام عن حجتهم إلى غيرها (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) ومن الوصل هنا العطف بالواو في قوله تعالى " وجاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" وقوله تعالى " وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" أو أما الحذف في قوله تعالى "فصبر جميل".

فعلى تقدير صبري أو أمري أو شأني وأثره داخل الجملة.

عمل العنصر الإحالي الاسم الموصول (ما رابطا اتساقيا مع العنصر الإشاري المحال عليه فيقوله تعالى "على ما تصفون" وهو إدعاء إخوة يوسف قصة الذئب مع يوسف وأحالت الآية على إخوة يوسف بالضمائر في (وجاءوا، سولت لكم أنفسكم، ما تصفون) وعلى يوسف في قميصه وعلى يعقوب (قال) الفعل (جاءوا)، فالجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه والصفة في (على قميصه بدم كذب) مرتبط بالفعل جاء والفعل قال مرتبط بالفعل جاء وكأن القول: قال بل جئتم مسولة لكم أنفسكم أمرا، والصبر الجميل ترتب على مجيء الإخوة بنبأ مقتل يوسف وكذلك الفعل (تصفون) يرتبط بوصف مابعد هذا المجيء ووضع الدم الكذب على القميص والعلاقة بين العنصر الإشاري النصي مضمون الآية والعنصر الإحالي الاسم الموصول والضمير في قوله تعالى "على ما تصفون" علاقة الإجمال بعد التفصيل.

ومن التكرار الجزئي والترادف، قوله تعالى: "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ".[1]

تنتقل الآية إلى فصل آخر من فصول القصة وهي قصة يوسف مع السيارة الذين وجدوه في الجب وتبدأ بتكرير المجيء (وجاءت لكنه المجيء إلى الجب الذي طرح فيه يوسف فشكل تكرير الفعل جاء عامل ربط مع الآيات السابقة وهو نوع من التكرير الجزئي

[1] سورة يوسف، آية 19.

إضافة إلى الربط الإشاري (هذا) الذي يشير إلى سيدنا يوسف الوارد في معظم القصة ثم يتلوه لفظ غلام والمقصود به يوسف عليه السلام وهو تكرير بالترادف ويعزز بضمير الغائب (الهاء) المحيل على يوسف في قوله تعالى (وأسروه) وهي إحالات نصية ومن الإحالات داخل الجملة النصية ضمير الجماعة في (فأرسلوا، وأسروه، يعلمون).

وضمير الغائب المتصل في (واردهم) والمفرد في(دلوه)[1]والضمير المستتر في (فأدلى، قال) وتعتبر الإحالة على السيارة إحالة على عنصر إشاري داخل الجملة فلم يذكر في غيرها سابقا أو لاحقا.

كما نجد الربط الداخلي من خلال الاسم الموصول (بما) الذي يرتبط مع صلته على مستوى الجملة وفيه إحالة على عنصر نصي.

أما الوصل كالعطف بالفاء في قوله تعالى "فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه" فيفيد تتابع وترتيب الحدث وفي الاستئناف بالواو واستمرار بالحدث كما قوله تعالى "وأسروه بضاعة والله عليم" والاستئناف من روابط الجملة النصية فالجملة اكتملت بالتعقيب في قوله تعالى "والله عليم بما يعملون" فعمل الاستئناف على الربط بإتمام المعنى.

قوله تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ".[2]

بدأت الآية الكريمة بالوصل الإضافي[3] ما أدى إلى تماسكها مع الآية السابقة وجاءت الإحالات لإفادة التماسك فقد احتوت على إحالات نصية يمثلها ضمير الغيبة (الهاء) في (شروه، فيه) وهو يعود على المرجع الإشاري في النص يوسف عليه السلام وضمير الجماعة الواو في (وشروه، وكانوا) يحيل على السيارة إحالة نصية قبلية والعنصر الإشاري لم يذكر مرة ثانية ونابت عنه الضمائر والإحالة من إحالة نصية خارج الجملة لأن العنصر الإشاري مذكور خارج الجملة. ويعد الفعل (شروه) محور الآية فالثمن البخس والدراهم المعدودة والزهد فيه كلها مدلولات تجارية وهذا التفصيل من التضام وأدى إلى الاتساق على

[1] المرجع السابق، ص 464.

[2] سورة يوسف، آية 20.

[3] المرجع السابق، ص 464.

مستوى النص لارتباط أحد عناصر التضام بضمير يحيل على يوسف وهو الفعل (شروه) ومن الوصل والعطف في (وكانوا).

قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"[1]

أحال الضمير المستتر نصيا على زوج امرأة العزيز (قطفير) في (رأى) كما أحال الضمير المتصل في (أنه) على عملية القد ودخلت إحالة نصية جديدة في الفعل (كيدكن) فضمير الخطاب (كن) يحيل على امرأة العزيز وأمتها وأحال بالجمع استعظاما لكيد النساء كما يذكر الزمخشري.[2]

ويظهر عنصر التكرير، إذ كرر العنصر الإشاري (قميصه) والفعل (قدّ، وقال) لترابط الأسماء والأفعال مع الآية السابقة وكرر كيدهن في الآية للتأكيد على عظيم كيد النساء وأحيل على يوسف بالضمير المتصل في (قميصه) ويظهر دور الوصل في (لما) كرابط نصي داخل الجملة.

"*يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ* "[3]

بدأت الآية بتكرير المرجع والإشاري في القصة (يوسف) الذي يربط جميع أحداث القصة وهو أبرز عنصر إشاري في القصة بما في القصة من عبر وجاء عنصر الحذف لحرف النداء لإظهار قرب المنادي وأنه مفاطن الحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله[4] وفي النداء المحذوف إحالة على يوسف عليه السلام واسم الإشارة هذا في قوله تعالى "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" قام بالإحالة النصية الموسعة على مضمون المقطع كما أحدثته امرأة العزيز ويطلب العزيز منه أن يعرض عن الحديث به فاسم إشارة أحال على عنصر إشاري نصي يمثل أحد الأفكار الفرعية في موضوع القصة ليربط هذه الآية مع مجموع الآيات السابقة التي تحدثت عن مراودة امرأة العزيز ليوسف ونجد الوصل والعطف في (واستغفري).

---

[1] سورة يوسف، آية 28.

[2] الزمخشري الكشاف، ج 02، ص 460.

[3] سورة يوسف، آية 29.

[4] المصدر السابق، ج 02، ص 460.

وفي الآية إحالات نصية بالضمائر تحيل على يوسف في (أعرض أو على امرأة العزيز في قوله تعالى "واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين" وقد كثرت الإحالات على العنصر الإشاري امرأة العزيز في سياق الحديث عن الخطيئة إثباتا للخطيئة عليها ولا نجد مثل هذه الإحالات على يوسف في مجال الاتهام بالخطيئة.

"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[1].

بدأت الآية بتكرير الفعل قال (ويعمل مع مقولة على تماسك الجمل القصة وحرف العطف الواو في (وقال) عمل على الارتباط مع الآيات السابقة في إطار تساوق الأحداث ويذكر العنصر الإشاري امرأة العزيز من يعد الإضمار إظهارا في[2] قوله تعالى (إمرأة العزيز) ويعود الفعل رواد للتكرير وهو تكرير تام كرابط جامع لهذه الآية مع الآيات السابقة ومولود دلالي لمجموعة أفعال وتحتوي الآية عدة ضمائر تحيل إحالات نصية على امرأة العزيز في (تراود فتاها، شغفها، لنراها) وفيها إدانة لها من النسوة وفي ضمير المتكلم إحالة نصية على النسوة في (إنا) وفي الضمير المستتر في فعل (تراه) اضهار لموقف النسوة وإبراز إنكارهن على الإعتراف بذنبها فاللائمات أصبحن هائمات من رؤية واحدة فكيف بها وهو في بيتها هذه الآية بداية حدث آخر من مجريات القصة وهو ما جرى بين امرأة العزيز ونسوة في المدينة حيث شكل المرجع الإشاري يوسف عامل ارتباط داخل النص بين امرأة العزيز والنسوة بدرجة أقل من يوسف فهما مدار إحالات وارتباطات لغوية كثيرة وأحالت الضمائر نصيا على يوسف (نفسه، شغفها).

قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ".[3]

[1] سورة يوسف، آية 30.

[2] الزمخشري الكشاف، ج 02، ص 464.

[3] سورة يوسف، آية 33.

بدأت الآية بالفعل قال كتكرار معجمي يفيد الإستمرارية في الحدث ويتضمن الإحالة على المرجع الإشاري يوسف والجملة مستأنفة بيانيا وهو ما كان جوابا لمقدر فقد قالت النسوة ألا تطلع مولاتك فرد عليهن في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليه" فالدعوى من النسوة والضمير دون النسوة يحيل على النسوة في الآية السابقة وذكر سبحانه الكيد على لسان يوسف لإثبات المعنى له كدليل آخر على طهارة النفس والجسد ليوسف . فما حدث له فهو من ناحية الكيد وفي النداء إحالة مقامية عليه سبحانه.

والوصل الإضافي والسببي ربط بين تركبين بالشرط والعطف قوله تعالى " إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" كنتيجة وحين ذلك الربط بالعطف وذكر الإستجابة ولم يتقدم الدعاء لأنه قوله وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف[1]. خوفا من أن يصبو إليهن وهو دليل على أن سيدنا يوسف لم يصب بعد وأنه يدرك طبيعة نفسه البشرية.

اشترك الاسم الموصول في (مما) والضمير المتصل في (إليه) في الإحالة على مطلوب النسوة من يوسف، بين الاسم الموصول والضمير وأحالت الآية على يوسف نصيا بالضمير المستتر والمتصل نحو (قال ربي إني يدعونني، عني، أصب، اكن) وأحالت مقاميا إلى منتج النص سبحانه في (وإلا تصرف).

قوله تعالى: " وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ".[2]

بدأت الآية بالوصل الإضافي بأداة العطف الواو وهي من أدوات الربط عطفت على محذوف[3] وذلك من الوصل النصي.

[1] الزمخشري الكشاف، ج 02، ص 465.

[2] سورة يوسف، آية 36.

[3] الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، مج 5، ص 493.

وفي الآية إحالات نصية داخل الجملة تعود على الفتيين في قوله تعالى "قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا) بضمير الغيبة (هما) والحضور (الياء) وضمائر تحيل على الفتي الآخر في قوله تعالى: وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا) بضمير الغيبة المستتر في (أحمل) وبضمير الحضور الياء في (إني، أراني، رأسي) ثم عادت الإحالات إليهما معا في (نبئنا، إنا) وكلها إحالات جملة في هذا الموضع من القصة أي أن العناصر الإحالية تحيل على عناصر إشارية داخل الجملة الواحدة دون وجود لعنصر الإشاري في النص سابقا وإن أتى لاحقا فالجملة تبدوا منفصلة عن باقي القصة، إلا أن وجود عناصر إحالية عادت على المرجع الإشاري يوسف نحو الضمائر (ودخل معه، نبأنا بتأويله نراك من المحسنين) عملت مع ربط الجملة مع ما سبق وهناك عناصر إشارية غير عاملة ذكرت ولم يحل عليها وهي الطير وأخرى ذكرت وأحيل عليها مرة واحدة وهو الخبز في قوله تعالى: "خبزا تأكل الطير منه" والضمير (منه) ربط جملة الصفة تأكل الطير منه بالموصوف الخبز.

وفي التفصيل تضام فتوضيح العنصر الإشاري فتيان بقوله (أحدهم والآخر) تفصيل وهذا التفصيل لأهمية دور أحدهما في أحداث لاحقة.

وفي الفعل (قال) استمرار لتكرير لموافقة التساوق القصصي ويرتبط به تراكيب مقولة القول للعلاقة السببية نحو قوله تعالى "كأني أراني أعصر خمرا" فهي مقول للفعل قال الثانية تكرير ومرتبطة بالعطف وتكرر العنصر الإشاري الرؤيا بخلاف رؤيا يوسف إلا أن العامل المشترك بينهما معجمي وهو الرؤيا بحد ذاتها والتكرير تأكيد على أهمية الرؤيا في الأحداث النصية وأول الرؤيا من سيدنا يوسف وفي القصة وعبرها فالأولى تبعتها محنته مع إخوته والثانية أدت إلى خروجه من السجن، والثالثة مكنته عند الملك وكل بأمر الله.

قوله تعالى: "قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ".[1]

[1] سورة يوسف، آية 37.

تبدأ الآية بتكرير الفعل قال وفي الآية عناصر إحالية نصية تعود على عناصر إشارية في الآية السابقة فالضمير المتصل في (يأتيكما) و(نبأتكما) يحيل على الفتيين في الآية السابقة وكذلك الضمير في (ترزقانه) فالألف تعود على الفتيين ما ضمير الغائب الهاء فيحيل على الطعام ويحمل إحالة داخل الجملة ومثله في قوله تعالى (بتأويله) واسم الإشارة (ذلكما) يحيل على معنى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات[1] مع الإشارة إلى الفتيين والاسم الموصول في شبه جملة (مما) يحيل على العلم ويستمر حضور المرجع الإشاري في الآية من خلال العناصر الإحالية في (قال، نباتكما، علمني ربي، إني تركت).

وفي العنصر الإشاري الطعام المذكور في الآية والخبز الوارد في الآية السابقة معجمي بالتضام فالخبز بعض الطعام.

ويعمل التكرير المعجمي للضمير المنفصل (هم) في قوله تعالى "هم كافرون" على الإحالة على العنصر الإشاري قوم مع التأكيد وما هؤلاء القوم من صفات الكفر لضمير تكرير لا ضمير المنفصل السابق وإحالة على الاسم الظاهر (قوم) المفسر له وفي ذلك تشترك الإحالة مع التكرير وأحيل على العنصر الإشاري قوم بضمير الجماعة والواو في وقوله تعالى: " مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ".

قوله تعالى: "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ".[2]

بدأت الآية بقال وهذا تكرير لفظي تام في القصة، وهناك أيضا الوصل بالواو وعطف على محذوف أي لما جاءه الرسول وأخبره بتأويله فقال الملك[3]، وهو حذف نصي وتكرار العنصر الإشاري (الملك) وتكرر لفظ الكيد.

وفي (أئتوني) إحالة نصية على الملك يوسف في (به) وفي لفظ (فلما) وصل إضافي

[1] الزمخشري الكشاف، ج 02، ص 467.

[2] سورة يوسف، آية 50.

[3] الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، مج 5، ص 6.

وسببي الفاء وصل إضافي ولما ظرفية أو رابطة.[1]

والهاء في قوله تعالى (جاءه) تحيل على يوسف والضميران المستتران في(قال إرجع) يحيل أو كلها على المرجع الإشاري يوسف والثاني على العنصر الإشاري الفني الناجي والضمير المتصل في (ربك) يحيل على الفتى الناجي أما الضمير المتصل في (فسأله) فإنه يحيل على الملك والضمير المستتر يحيل على الفتى ومن هنا نجد تناوب الضمائر الإحالية ما بين يوسف والملك فمن الملك لحاجته يوسف ومن يوسف صبره وعلو قدره[2]، وتعود على الإحالات النصية على العنصر الإشاري النسوة من خلال الضمائر المحيلة إليهن مع الاسم الموصول في قوله تعالى:" مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" الإحياء دورهن في القصة فهن من أدلة براءة يوسف عليه السلام، وفي التركيب السابق إحالة نصية على يوسف عليه السلام في قوله تعالى" قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ "[3] تكرير جزئي لجملة فقد ورد ذلك في معنى التنزيه والتعظيم ليوسف بينما جاءت نفس الجملة في قوله تعالى "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" وهنا موطن الدهشة والإنبهار[4] فقال "وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّه مَا هَٰذَا بَشَرًا"، وأكدت المراودة عن النفس مرتين في قوله تعالى إذا راودتن يوسف عن نفسه وأنا راودته عن نفسه إثباتا لبراءة يوسف عليه السلام.

أما حدث القصة وهو المراودة فبرز من خلال التكرار مرتين: مرة نسب إلى النسوة وأخرى إلى امرأة العزيز قوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ"[5] وفي إحالة تشير بالتصرف (إذا) الذي يشير إلى الوقت مراودة النسوة والمتكلم هو الملك ومقابل

[1] المرجع نفسه، مج 5، ص 6.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج 2، ص 632.

[3] سورة يوسف، آية 51.

[4] المرجع السابق، ص 640.

[5] سورة يوسف، آية 51.

الإشارة إلى ذلك الزمن الماضي تأتي الإشارة إلى الحاضر بالضرف الآن في قوله تعالى "الآن حصحص الحق" وبين الضرفين التضام.

نجد المراودة والمرجع الإشاري امرأة العزيز ثم الملك فالنسوة وهناك تكرار جملة فالآية تمثل جملة جامعة لعناصر الحدث من خلال العناصر الإتساقية اللغوية.

" ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" يقوم اسم الإشارة (ذلك) بربط الآية بسابقتها ضمن الإحالة النصية فقد أحال على العنصر الإشاري النصي غير الملفوظ (مضمون) وهو الاعتراف ولم يحل على عنصر إشاري معجمي ملفوظ وتحمل الآية إحالات نصية أخرى مثل إحالات الضمائر "أني لم أخنه على اختلاف التفسير في من تعود عليه أهي على كلام سيدنا يوسف أم على كلام امرأة العزيز أو لعموم الأحوال والأرجح أن الكلام لامرأة العزيز فيوسف لم يكن حاضرا[1] والضمير المتصل[2] في أخنه يحيل على عزيز مصر وهناك وصل إضافي بالواو في لم أخنه بالغيب وأن الله وتكرر الكيد في وقوله تعالى " لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ".

قوله تعالى: "قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ"[3]

تبدأ الآية بالتكرير للفعل قال مع أداة الوصل الواو وتكرير آخر يمثل تكرير جملة تام في قوله " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ" الوارد في الآية وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك، ولكنه تكرير بصيغة تخاطب غير الصيغة الأولى فقد اتبع الملك الأمر الطلبي بالإفصاح عن سبب الإستدعاء ولسيدنا يوسف وهو الإستخلاص وذلك قبل أن يذهب من يأتي به بينما الطلب الأول لم يحمل وعدا وفي المرتين يعمل الحذف على الإختصار والتماسك النصي فالحذف هنا نصي فيبين الإرسال والعودة جملة حدث وقد عطف على المحذوف بأداة الوصل الإضافي حرف الفاء وربط الوصل الإضافي والسببي أجزاء التركيب

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج 2، ص 633.

[2] الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، مج 4، ص 08.

[3] سورة يوسف، آية 54.

من خلال (فلما) وهناك عنصر إحالي ظرف الزمان (اليوم) ويشير إلى حال يوسف بعد أمسه فقد أصبح مكينا أمينا وفي مكين إشارة لما تقدم من الحديث عن التمكين ليوسف نحو " وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ".

جاءت الإحالة على سيدنا يوسف بأربعة عناصر إحالية وعلى الملك بستة عناصر إحالية وكلها بالضمير (أئتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ، وهنا نرى دور الضمائر في إبراز العنصر الإشاري من خلال العناصر الإحالية فقد تناوبت الضمائر التي تعود على سيدنا يوسف وعلى الملك بزيادة لصالح الملك وذلك لأن الأمر للملك في تقريب يوسف فالملك محور دلالي.

خـاتمـة

إن مرادنا من هذه الخاتمة هو تحديد بعض النتائج التي تزعم أن البحث قد حققها وتوصل إليها في فصوله إذ ليس من السهل بإمكان أن يكون موضوع التضام في القرآن الكريم خاتمة تحيط بجميع جوانبه وهذه النتائج بمجملها فيما يلي:

أولا: لقد صاغ الدارسون المحدثون النصوص النحوية صياغة جديدة معتمدة على عنصري المعنى والمبنى فكان لهم دور بارز في إعطاء ظاهرة التضام لفظها الإصطلاحي وعدلها واحدة من القرائن النحوية الدالة على المعنى النحوي كما كان لهم فضل تناولها في أكثر من دراسة بعدها كانت ظاهرة متناثرة في كتب موروثنا النحوي.

ثانيا: إن علاقة التضام هي المسؤولة عن تسلل الكلام وترابط أجزائه واستمرار وحداته، فتضام الكلمات هو الذي ينهض بالتركيب ويسمو به إلى حد الإعجاز ويزيد من رونق العبارة حتى إذا ضامت الكلمات أخواتها والعبارات ذواتها خرج الكلام في نسيج لغوي متميز ينفرد ببديع الرصف والتأليف.

ثالثا: لقد كانت عناية النحو بموضوع التضام واضحة تستشفها من خلال تلك النصوص الصريحة والضمنية فتارة يسمونه باسمه أو بأحد أقسامه وتارة أخرى يغير مصطلح معين كحديثهم عن تلازم الأجزاء النحوية وتركيبها الذي يجعلها كالكلمة الواحدة.

رابعا: صاحب قضية التضام كثير من المصطلحات والنصوص التي تناولها القدامى بالدرس والتحليل، ومن هذه المصطلحات المتعلقة بالتضام النظم، والتعليق والبناء والرصف والتأليف وغنى عن البيان أنها مصطلحات من صميم الموروث النقدي والبلاغي، أما نصوصهم في التضام فقد جاءت عبارات كثيرة أشهرها هي قولهم: استعمال بعض الكلم مع بعض، والكلام الآخذ بعضه بأعناق بعض.

خامسا: إن موضوع التضام ذو بعدين لغويين، بعد نحوي يهتم بالمسائل النحوية المعيارية الخالصة وبعد آخر بلاغي يرتبط في القرآن الكريم بعلم المعاني ولا يكاد يتميز في

الطرح عن بحوث النظم والإعجاز، فموضوع التضام في القرآن كفيل بالكشف عن جملة من العلاقات التركيبية التي تربط بين آيات القرآن وسوره.

سادسا: إن الدراسات النصية وجدت مع بعد القاهر الجرجاني الذي نظر في القرآن الكريم نظرة على أنه نص كامل لذا أنه يمكن أن نفعل الموجود عندنا لنصل إلى المرغوب فيه من الدراسات اللغوية التي تملأ سمع العالم وبصره اليوم.

لذا نرى أن نصا واحدا كسورة يوسف لا يمكن أن تحقق فيه تطبيق جميع مظاهر التضام ولا أن نجد فيه جميع مظاهر القرائن في حال سلبها وفي حال إيجابها.

قائمة المصادر والمراجـع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: الكتب العربية

1. إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العافي، بغداد، دط، 1966.
2. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، مصر.
3. ابن أبي اصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان الإعجاز القرآن، تحقيق، حنفي محمد شرف، القاهرة، دط، 1983هـ/1663.
4. ابن الأنباري أبو البركات (ت 577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صيد العصرية، بيروت، دط 1419هـ/1998.
5. ابن طباطبا محمد بن أحمد: عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، د ت.
6. ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل، حقق وعلق عليه ووضع حواشيه أحمد عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت.
7. ابن هشام الأنصارية (ت 671هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمود مصطفى الحلاوي، أحمد سليم الحموي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998.
8. أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.
9. أبو ذؤبي الهذلي: الديوان، تحقيق وشرح: سهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق عمان، 1419هـ/1998.
10. أبو عباس المبرد (ت 285هـ): كتاب المقتضي، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة القاهرة، 1399هـ/1979.
11. أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ، 1989م.
12. أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990.

13. أبي جعفر محمد ابن جليل الطبري المتوفي سنة 210هـ، جامع البيان الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير، المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، (1406هـ/1986).
14. أبي قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467هـ، 538هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، حققه وخرج أحاديثه عبد الرزاق المهدي، بيروت، ط2، 1421هـ، 2001م.
15. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1988.
16. أحمد بن فارس: أبو الحسن أحمد (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت.
17. احمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين عبد السلام هارون دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991.
18. أحمد محمد القاسم السجلماني: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علاء الغازي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ/1980.
19. أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999.
20. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى 1402هـ/1980.
21. أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث الأردن، الطبعة الأولى، 2007.
22. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة ناشرون، لبنان، الطبعة الثانية، 1996.
23. الأزهد الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1993.
24. أسامة ابن منفذ: (ت 584هـ) البديع في البديع في نقد الشعر، حققه وقدم له عبد أعلى مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1407هـ/1987).

25. إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ): التاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، 1990.
26. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى، 1376هـ، 1957م.
27. بهاء الدين ابن عقيل (ت 769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ/2005.
28. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة السابعة، 1418هـ/1998.
29. تفسير ابن كثير أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
30. تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب تحقيق: عصام شعيتو، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987.
31. تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، 2007.
32. تمام حسان: الأصول، دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو الفقه البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
33. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993.
34. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة 1425هـ/2004م.
35. الثعالبي عبد الرحمان ابن مخلوف الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
36. جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ/ 2007م.
37. جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، اعتنى به: محمد فاضلي، الجرائد أبحاث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007.

38. جلال شمس الدين: الأنماط الشكلية لكلام العرب، نظرية وتطبيقا، دراسة بنيوية مؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية، دط، 2005.
39. جميل البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة، للكتاب (دط)، مصر، 1992.
40. حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، تقديم تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005.
41. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تنوس منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981.
42. الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ): كتاب العين، تحقيق: مدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، د ط، د ت.
43. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000.
44. الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة.
45. زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي من الشعر والنثر، دار جرير، عمان الطبعة الأولى، 2010.
46. السكاكي يوسف بن أبي بكر 626هـ: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، د ط، د ت.
47. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت 180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون: الطبعة الأولى (1411هـ/1991).
48. السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ): التعريفات، وضع حواشيه: باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003.
49. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط11، 1405هـ 1985م.
50. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الباب الجلي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1952م.
51. شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثانى، دار الإحياء والتراث، بيروت، دط، دت.

52. شهاب الدين السيد محمود (الألوسي البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
53. الصادق خليفة راشد: دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قار يونس بن غازي، دط، 1996.
54. صبحي إبراهيم الفقي: علم النص بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.
55. عبد الجليل مرتاض: في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط، 2007.
56. عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو، وعلم المعاني، دار الجامد للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004.
57. عبد الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة، بيروت دط، 1979.
58. عبد القاهر الجرجراني: دلائل الإعجاز، اعتنى به محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة الناشرون، بيروت، الطبعة الأولى (1426هـ/2005م).
59. عبد الكريم خليفة: وسائل تطوير اللغة العربية العملية، مجلة اللسان العربي، المملكة المغربية، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، 1395هـ/1975.
60. عبد المنعم عبد الجليل، نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، الإسكندرية، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2007.
61. عيار الشعر: دراسة وتحقيق وتعليق: محمد زغلول الإسلام، منشأة المعارف الإسكندرية، الطبعة الثالثة، د ت.
62. فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000.
63. الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

64. الفيروز أبادي: قاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
65. القاضي الجرجاني: التعريفات، تح نصر الدين التونسي، شركة القدس للتدوير القاهرة، الطبعة الأولى، 2007.
66. القاضي عياض 544هـ: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، خرج أحاديثه أحمد بن أحمد محمد بن يحي المعروف بالشمني، القاهرة، دار ابن الهيثم، ط1، 1427هـ/2006م.
67. القطان إبراهيم 1402هـ/1982: تسيير التفسير راجعه وضبطه عمران أحمد أبو حجلة، عمان، الطبعة الأولى.
68. كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار الصفاء الأردن، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006.
69. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، القاهرة، مصر، الطبعة 1416هـ، 1996.
70. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
71. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
72. محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426هـ/2006م.
73. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة، للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، (1426هـ/2005).
74. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.
75. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي تفسير بحر المحيط، مجلد الخامس (654هـ، 754هـ)، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
76. محمد جمال الدين القاسمي، تفسير كتاب القاسمي المسمى محاسن التأويل، الطبعة الثانية، 1398هـ/1978.
77. محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل لانسجام الخطاب، 1988.

78. محمد عبد العزيز عبد الدايم: النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006.
79. محمد علي التهانوي (ت 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم تحقيق علي دحروج، لبنان، مكتبة الناشرون، د ط د ت.
80. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القلم، الطبعة الخامسة، 1406هـ، 1986.
81. محمد ناصر الدين الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثة "المجاني"، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
82. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1420هـ/1999.
83. مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997.
84. مصطفى صادق الرفاعي: إعجاز القرآن والبلاغة العربية، مؤسسة المختار، القاهرة الطبعة الأولى، 1423هـ/2003.
85. مصطفى عبد السلام بوشادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط.
86. مصلوح سعد عبد العزيز: في البلاغة العربية والأسلوبيات النصية آفاق جديدة جامعة الكويت فهرس مكتبة الكويت الوطنية، الطبعة الأولى، 2003.
87. معاني القرآن للزجاج، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 1990م.
88. المغنى في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه: أمين الخولي، مطبعة دار الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، 1380هـ/1960.
89. موفق الدين ابن يعيش النحوي (ت 643هـ): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت.
90. الميداني(عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني)، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، دار القلم، دمشق، 1996، الطبعة الأولى.
91. نادية رمضان النجار: أبحاث نحوية ولغوية، القسم الأول، دار الوفاء للنشر الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006.

92. نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، المغرب لبنان، الطبعة الخامسة، 2006.

ثانيا: الكتب المترجمة

1. ترجمة كتاب: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1148هـ/1998.

ثالثا: المخطوطات (الرسائل الجامعية)

1. توامة عبد الجبار: القرائن المعنوية في النحو العربي (مخطوط رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، معهد الأدب واللغة العربية، 1995.
2. عبد الله بن عبد الرحمان بانقيب: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني(ت 386هـ إلى عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008.
3. مبارك عبد القادر: آراء تمام حسان في نقد النحو العربي (مخطوط رسالة ماجستير)، جامعة تلمسان، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003/2002.

رابعا: المجلات:

1. تمام حسان: اللغة والنقد الأدبي(مجلة فصول –مجلة النقد العربي مجلد 4، العدد 01 سنة 1983)، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر.

2. تمام حسان: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة: مجلة فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج7، العددان 3و4 سبتمبر 1987.

3. رياض مسيس: لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرز، عدد خاص بالملتقى الوطني حول "دور اللسانيات في العلوم الإنسانية الجزائر، بوزريعة، 2002

خامسا: الكتب الأجنبية

1. M.A.K.halliday, Ruqaiya hassan : cohesion in Englich congman Group limited, 1976. : collcation
2. Shirley carter thomes : la cohesion textuelle, pour une nouvelle pédagogie de l'ecrit, Lharmattan, Paris France Montréal, Canada, 2000.

فهـــرس

مقدمة..... أ

الفصل الأول: التضام أصوله وامتداداته

المبحث الأول: مفهومه ومجالاته..... 6

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي..... 6

الفرع الأول: التضام لغة..... 6

الفرع الثاني: التّضام اصطلاحا..... 7

الفرع الثالث: التضام قرينة لفظية..... 8

المطلب الثاني: أقسام التضام..... 8

الفرع الأول: التضام المعجمي..... 8

الفرع الثاني: التضام النحوي..... 9

المطلب الثالث: أنواع التضام النحوي..... 10

الفرع الأول: الاختصاص..... 10

الفرع الثاني: الافتقار..... 12

المطلب الرابع: التضام والتوارد والمصاحبة اللغوية..... 13

الفرع الأول: التوارد والتضام..... 13

الفرع الثاني: التوارد والمصاحبة اللغوية..... 15

المطلب الخامس: مظاهره ومتعلقاته..... 15

الفرع الأول: علاقات التضام..... 15

الفرع الثاني: القاعدة النحوية والتضام..... 16

المطلب السادس: عوارض التضام..... 17

الفرع الأول: الفصل..... 17

الفرع الثاني: الاعتراض..... 20

المبحث الثاني: التضام في الموروث النحوي..... 21
المطلب الأول: أقسام الكلم..... 21
المطلب الثاني: التضام في الأبواب النحوية..... 22
الفرع الأول: التضام في الجملة الإسمية..... 22
الفرع الثاني: التضام في الجملة الفعلية..... 24
الفرع الثالث: ظن وأخواتها..... 25
الفرع الرابع: التعدد في جملة النعت..... 25
الفرع الخامس: التوكيد..... 25
الفرع السادس: التضام في الحروف..... 26
المبحث الثالث: التضام في المورث البلاغي..... 27
المطلب الأول: مدخل عام إلى علم المعاني..... 27
المطلب الثاني: منزلة التضام بين وجوه الإعجاز..... 27
المطلب الثالث: التضام في ضوء نظرية النظم..... 29
الفرع الأول: الجذور البلاغية لمادة ضمم ومعانيها..... 29
الفرع الثاني: التضام وعلاقته بنظرية النظم..... 31
المطلب الرابع: أثر السياق في التضام..... 32
المطلب الخامس: التضام والمصطلح البلاغي..... 35
الفرع الأول: التضام ومقولات التأليف والتركيب..... 35
الفرع الثاني: التضام ومقولات السبك والحبك..... 36
الفرع الثالث: التضام ومقولات الرصف والتعليق..... 39
المبحث الرابع: التضام في الدرس اللساني الحديث..... 41
المطلب الأول: التضام والمنهج الوصفي..... 41
الفرع الأول: التضام والعلاقات الأفقية والاستبدالية..... 41
الفرع الثاني: التضام والدراسة الشكلية..... 43

المطلب الثاني: التضام ولسانيات النص..... 45

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على سورة يوسف

المبحث الأول: ترجمة السورة..... 49

المطلب الأول: التعريف بالسورة..... 49

المطلب الثاني: سبب تسميتها..... 50

المطلب الثالث: مقاصد سورة يوسف..... 50

المطلب الرابع: سبب نزولها..... 51

المطلب الخامس: الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف في القرآن..... 52

المبحث الثاني: آليات التضام في سورة يوسف..... 54

المطلب الأول: ماهية الحذف..... 54

الفرع الأول: تعريف الحذف..... 54

الفرع الثاني: أنواع الحذف..... 55

الفرع الثالث: الجانب التطبيقي للحذف في سورة يوسف..... 58

المطلب الثاني: ماهية الالتفات..... 65

الفرع الأول: تعريف الالتفات..... 65

الفرع الثاني: أقسامه مع التطبيق..... 66

المطلب الثالث: ماهية التكرار..... 70

الفرع الأول: تعريف التكرار..... 70

الفرع الثاني: التكرار في علم اللغة الحديث..... 70

الفرع الثالث: الجانب التطبيقي للتكرار في سورة يوسف..... 74

خاتمة..... 90

قائمة المصادر والمراجع..... 93

الفهرس..... 103

ملخص:

إن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف كل طريقة عن الأخرى تقديما وتأخيرا، وقد أطلق عليه في الاصطلاح التوارد، فنجد أن هذا الوجه بهتم بدراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية، أما الوجه الآخر فيقصد بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين، والعنصر الآخر فيسمى في هذه الحالة التلازم أو يتنافى معه فلا يلتقي فيسمى التنافي.

ومن هنا نرى أن التضام هو إيراد الكلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من أي معنى آخر.

الكلمات المفتاحية: التضام، التماسك، النص القرآني، المعنى.

Résumé:

La convergence est les methodes possibles dans le pavage d'un phrase donné.

Donc, chaque methodes difference de l'autre en avancant et en retardant et en terminoloqie on l'a intitule le claccement.

On trouve que cette face donne de l'importance à l'étude des méthodes structurels rhétorique esthétique allant vers l'étude des relations grammaticales et les indices verbales, alors que l'autre face signifie que la convergence implique l'un des deux elements d'analyse grammaticales alors que l'autre élément a dans cde cas la denomination d'implication ou s'y oppose et ne sont pas conformes. En ayant pour terme la denegation.

Alors on peut observer que l'convergence est l'usage de deux mots ouplus crée un sens large qu'aucun autre sens.

Mots-clés: convergence, cohésion, texte Coranique, ce qui signifie.